

السبح والبحر

للكاتب الأيمنكي الشهير
أرنست همنغواي



مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

القصة الفائزة بجائزة نوبل
لعام ١٩٥٤

سنة العيلكي



كنوز القصة الإنسانية
العالمية

١٤

دار العلم للملايين



مكتبة لسان العرب

الكاتب شوقي

www.lisanarb.com

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A.U.B. LIBRARY

818
H4880A

كنوز القصص الإنساني
العالمي

١٤

الشيخ والبحر

للكاتب الأميزكي الشهير

أرنست همنغواي

الفائز بجائزة نوبل لعام ١٩٥٤

نقله إلى العربية

مُترجمًا من قبل

دار العلم للملايين
بيروت

The Old Man and the Sea
by
Ernest Hemingway

طبعت هذا الكتاب في الاصل الانكليزي

الطبعة الاولى ، ايلول ١٩٥٢
الطبعة الثانية ، تشرين الاول ١٩٥٢
الطبعة الثالثة ، كانون الاول ١٩٥٢
الطبعة الرابعة ، كانون الثاني ١٩٥٣
الطبعة الخامسة ، نيسان ١٩٥٣
الطبعة السادسة ، آب ١٩٥٣
الطبعة السابعة ، ١٩٥٤

الطبعة الاولى
بيروت ، كانون الاول ، ١٩٥٤

كان رجلاً عجوزاً يصيد السمك وحده في قارب عريض
القعر في « تيار الخليج » * ، وكان قد سلخ أربعة وثمانين
يوماً من غير ان يفوز بسكة واحدة . وفي الايام
الاربعين الاولى كان يصحبه غلام صغير . حتى اذا قضى
اربعين يوماً من غير ان يوفتق الى صيد ما ، قال أبوا الغلام
لابنها ان الشيخ منحوس نحساً لا ريب فيه ولا بره منه ،
وسألاه ان يعمل في قارب آخر ما لبث ان فاز بثلاث
سمكات رائعات في الاسبوع الاول . ولقد أحزن الغلام ان
يرى الشيخ يرجع كل يوم خالي القارب ، فكان ما يفتأ
يضي للقاءه وبساعده في حمل صناديره الملتفة أو يحججه
وحر بونه ** والشراع المطوي حول السارية . وكان الشراع
مرقعاً بأكياس دقيق عتيقة ، فهو يبدو وقد 'طوي' على
هذه الشاكلة اشبه ما يكون براءة الهزيمة السرمدية .

* Gulf Stream وهو تيار اوقيانوسي دائي ينبثق من خليج مكسيكو ،
ويجري شمالاً في معاذاة الساحل الاميركي ومن ثم يتخذ اتجاهاً شمالياً شرقياً نحو
الجزر البريطانية .

[المغرب]

[المغرب]

** الحربون : رمح مريش لصيد الحيتان .

وكان الشيخ معروفاً شاحباً انتشرت في مؤخر عنقه
تجاعيد عميقة . وَعَلَّتْ خديه القروح السمراء الناشئة عن
سرطان الجلد غير المؤذي الذي هو ثمرة انعكاس الشمس
على صفحة المياه في المناطق الاستوائية . وكانت تلك
القروح تغطي جانبي وجهه ، على حين كانت في يديه ندوب
عميقة الغور خلقتها الحبال التي علقت في أطرافها ضروباً من
الاسماك الثقيلة . ولكن أياً من هذه الندوب لم يكن
غضاً . كانت قديمةً قَدَمَ التآكل في صحراء خلوة من
السماك .

كان كل شيء فيه عجوزاً خلا عينيه ، وكان لونهما
مثل لون البحر . وكانتا مبتهجتين باسنتين .
وقال له الغلام فيما هما يصعدان الضفة بعد ان دفعا
القارب الى اليابسة :

« سانتياغو ! في استطاعتي ان اذهب معك من جديد .
لقد فزنا بشيء من المال . »
كان الشيخ قد علم الصبي صيد السمك ، وكان
الصبي يحبه .

وقال الشيخ :

« انت تعمل الآن على ظهر مركب محظوظ . ابق
حيث انت . »

- « ولكن أذكر كيف سلخت سبعة وثمانين يوماً
من غير ان توفق الى سمكة واحدة ثم تدفقت علينا

الاسماك الكبيرة فكنا نصطاد منها كل يوم عدداً غير
يسير ، طوال أسابيع ثلاثة .
فقال الشيخ :

« أذكر ذلك . أنا أدري جيداً ان فراقك لي لم
يكن ناشئاً عن شكوكك . »

- « بابا هو الذي أكرهني على فراقك . أنا ما أزال
غلاماً صغيراً ، ويتعين علي ان أطيعه . »
فقال الرجل العجوز :

« ادري . هذا شيء طبيعي جداً .
- « ليس لديه ايمان . »

فقال الشيخ :

« لا . أما نحن فإيماننا قوي . أليس كذلك ؟ »
فقال الغلام :

« نعم . هل استطيع ان اقدم اليك شيئاً من الجعة
في « السطّيحة » ، ثم نحمل هذه الادوات كلها الى
البيت ؟ »

فأجابه الشيخ :

« ولم لا ؟ سوف أشربها بين الصيادين . »

وجلسا على « السطّيحة » ، وانشأ عدد من الصيادين
يسخر من الرجل العجوز ، ولكن ذلك لم يستثر غضبه
قط . اما الصيادون الشيوخ فنظروا اليه وقد عصر الحزن
قلوبهم . ولكنهم لم يُظهروا ذلك ، وراحوا يتحدثون

في كياسة عن التيار ، والاعماق التي قدفوا بجيوطهم اليها ،
والجو الجميل المتواصل ، وعمّا شاهدوه . وكان الصيادون
الذين فازوا برزقهم ذلك النهار قد دخلوا ، وشقوا بطون
اسماكهم وحملوها - بمدة على لوحين خشبيين كان رجلان
يتروخان عند طرف كل منهما - الى المسكة حيث انتظرت
سيارة الثلج الكبيرة لتقلها الى السوق في هافانا . وكان
الذين اصطادوا أقراشاً * قد حملوها الى مصنع الاقراش
في الضفة الاخرى من الخليج ، حيث توضع على الآلات
الرافعة ، وتزال اكبادها ، وتقطع زعانفها ، وتُنزع
جلودها ، ويقطع لحمها قدداً يُصار بعدئذ الى تمليحها .
وحين تهبّ الريح من ناحية المشرق كانت روائح مصنع
الأقراش تملأ جنبات المرفأ . أما اليوم فلم تبلغ المرأ غير
رائحة واهنة لانّ الريح انقلبت الى الشمال ثم مهدت فجأة .
وكان الجو جميلاً مشمساً على « السطيحة » .

وقال الغلام :

« سانغواغو ! »

فاجابه الشيخ :

« نعم . » كان حاملاً كأسه يفكر في الايام الخالية .

- « هل تريد أن اذهب وآتيك بشيء من السردين

تستعين به على الصيد غداً ؟ »

- « لا . اذهب والعَب البيسبول . انا لا ازال قادراً

* جمع قرش ، وهو سمك ضخم شبيه بكاب البحر . [المرب]

على التجذيف . ولسوف يلقي روجيليو الشبكة . «
- « كم أحب ان أذهب . واذا كنت لا أستطيع ان
اصطاد معك فليس يمنعني ذلك من ان أخدمك بطريقة ما . »
فقال الشيخ :

« لقد قدمت اليّ كأساً من الجعة . ويبدو لي انك
صرت رجلاً قبل الاوان . »

- « كم كان عمري عندما اصطحبتني ، اول مرة ،
في قارب ؟ »

- « خمس سنوات . ولقد كدت 'تقتل' عندما حملت'
السمكة ، وكانت ما تزال غضة العود ، فكادت تمزق
القارب إرباً إرباً . هل تذكر ؟ »

- « أستطيع ان أذكر ذنبها يضرب ويخبط ، ومقعد
التجذيف ينكسر ، والدوي الذي أحدثه ذلك التضريب .
أستطيع ان أذكر كيف قذفت بي الى مقدم المركب
حيث كانت الحيوط الندية الملتفة . لقد شعرت بالمركب
كأنه يرتجف ، وسمعت صدى ضربك للسمكة الضخمة وكأنك
تجتث بالفأس شجرة من الأشجار ، وشممت رائحة الدم
العذبة تفوح من حولك . »

- « هل تذكر ذلك حقاً أم اني أنا الذي حدثتك
به ؟ »

- « انا اذكر كل ما وقع لنا منذ اول يوم انطلقنا
فيه معاً . »

ونظر الشيخ العجوز اليه بعينين ناضحتين بالحب والثقة ،
عينين لوحتها اشعة الشمس ، وقال :
« لو كنتَ ولدي لانطلقتُ بك وغامرتُ ولكنك
ابن ابيك وأمك ، وأنت تعمل على قارب محظوظ . »
- « هل آتيك بالسردين ؟ في استطاعتي أن أجيء
باربعة أطعام * . أنا اعرف من ابن . »
- « لا تزال أطعام اليوم عندي . لقد وضعتها في
الصندوق وغمرتها بالملح . »
- « دعني اذهب وآتيك بأربعة جديدة . »

فقال الشيخ :

« جيء بواحد فقط . »

إن أمله وثقته لم يعترهما الوهن قط . ولكن الانتعاش
دبّ فيها الآن كما ينتعشان حين يبب النسيم العليل .
فأصر الصبي :

« بل باثنين . »

فما كان من الشيخ الا ان أقرّه قائلًا :

« لا بأس ، إيتني باثنين . أنت لم تسرقهما ؟ »

- « أنا لا أعفّ عن ذلك . اما هذه الاطعام

فقد اشتريتها . »

فقال الشيخ :

« شكرًا . »

* جمع طعم (بضم الطاء) وهو ما يلقي الى السمك ليصطاد .

كان أبسط من ان يتساءل متى تعود الاذعان . ولكنه
عرف أنه تعودده ، وعرف انه غير معيب ، وليس يضير
الكبرياء الحقيقية على الاطلاق .

وقال :

« سوف يكون الجو رائقاً ، غدآ ، بعد هذا التيار . »

وسأله الغلام :

« الى اين تريد ان تذهب ؟ »

- « الى ابعد ما أستطيع ، لكي أعود حين تتحول

الريح . يجب أن أنطلق قبل أن يبرز الفجر . »

فقال الغلام :

« سوف أحاول أن أحمل معلمي على الانطلاق الى

عرض البحر . وهكذا يكون في استطاعتي ان اسارع

لمساعدتك اذا اصطدت شيئاً كبيراً حقاً . »

- « إنه لا يجب الانطلاق الى مدى بعيد . »

فقال الغلام :

« هذا صحيح . ولكنني احاول ان ارى شيئاً لا

يستطيع هو ان يراه : ولنقل انه طائر يختلس شيئاً ،

وعندئذ أغريه بالجري وراء الدلفين . »

- « هل يشكو ضعفاً في البصر ؟ »

- « إنه اعمى تقريباً . »

فقال الشيخ :

« هذا شيء غريب . ذلك لأنه لم يصطد السلاحف

البحرية في يوم من الايام . وهذا هو الذي يقتل العينين . «
- « ولكنك سلخت عدة سنوات تصطاد السلاحف

في « ساحل البعوض » ، ومع ذلك فعينك جيدتان . «
« أنا عجوز غريب . »

- « ولكن هل تظن انك لا تزال من القوة بحيث
تستطيع أن تصطاد سمكة كبيرة ، كبيرة حقاً ؟ »

- « اظن ذلك . والى هذا فهناك حيل كثيرة . »
فقال الغلام :

« فلنحمل هذه الادوات كلها الى المنزل . وهكذا
أستطيع ان آخذ الشبكة الخاصة بصيد السردين واصطاد
منه شيئاً كثيراً . »

وجمعا العدة من القارب . وحمل الشيخ السارية على
كتفه ، وحمل الغلام الصندوق الحشي المنطوي على الحيوط
السمراء الملتفة المضفورة ضفراً محكماً ، والمججن ، والحربون .
وكان صندوق الأ طعام في مؤخر القارب الى جانب
المراوة التي تصطنع لاختراع السمكات الضخام بعد اصطيادها
وجذبها . إن أحداً لن يسلب الشيخ عدهته ، ومع ذلك
فمن الحير ان يحمل الشراع والحيوط الثقيلة الى البيت ما
دام الندى يؤذيها . وعلى الرغم من ان الشيخ كان على
مثل اليقين من أن احداً من أهل البلد لن يسرقه ، فقد
قال في ذات نفسه إن في ترك مججن وحربون في قعر
قارب ما يغراء بالسرقة لا داعي له .

وتقدما معاً نحو كوخ الشيخ ، ووجلا بابه المُشْرَع .
واسند الرجل العجوز الساريةَ وشراعها المطوي إلى الجدار ،
ووضع الغلام الصندوق وسائر الأدوات إلى جانبها . وكان
طول السارية يكاد يبلغ طول الغرفة الوحيدة التي يتألف
منها الكوخ . وكان الكوخ مبنياً بتلك المادة الصلبة التي
يدعونها « غوانو » *Guano* والتي لا تعدو ان تكون سعف النخلة
الملكية المتراكم . وكان فيه سرير ، وطاولة ، وكُرسي . وكان
الطبخ يجري على الفحم في جانب من ارضه القذرة . وعلى
الجدران السراء ، حيث برزت ههنا وههناك اوراق
الـ « غوانو » المذلة المتراكبة ذات النسيج الصلب ،
كانت صورتان ملونتان : إحداهما تمثل قلب يسوع الاقدس
والأخرى تمثل عذراء كوبر ، وكانت هاتان الصورتان
من آثار زوجته . وذات يوم كان الجدار مزداناً بصورة
ملونة لزوجته نفسها ، ولكن شعور الشيخ بالوحدة كان
يتعاضم كلما نظر اليها . وهكذا نزعها عن الجدار ووضعها
على الرف الذي في وسط الغرفة تحت قميصه التنظيف .
وسأله الغلام :

« ما عندك من الطعام ؟ »

— « قدر من الأرز المُرْعَفَر * مع السمك . أتحب

ان تأكل شيئاً من ذلك ؟ »

— « لا . سوف آكل في البيت . هل أُضرم

* زعفر الطعام : وضع فيه الزعفران .

لك النار ؟ »

- « لا . سأضرمها في ما بعد . وقد آكل الارز »

بارداً . »

- « هل تستطيع ان آخذ شبكة صيد السردين ؟ »

- « طبعاً . »

ولم تكن عند الشيخ شبكة خاصة بصيد السردين ، وكان الغلام يذكر أنه قد باعها . ولكنها كانتا يمثلان هذه الكوميديا الصغيرة كل يوم . ولم تكن ثمة قدر من الارز المزعفر مع السمك . وكان الغلام يعرف ذلك ايضاً . وقال الشيخ :

« ان الخمسة والثمانين رقم سعيد . فماذا تقول لو رأيتني راجعاً بسمكة تزن اكثر من ألف رطل ، في قاربي ذلك ؟ »

- « سوف آخذ الشبكة وامضي لصيد السردين . هل

لك ان تقعد عند المدخل تحت اشعة الشمس ؟ »

- « أجل . عندي جريدة البارحة ، وأحب ان

أطلع الصفحة الخاصة بالبيسبول . »

ولم يدر الغلام ما اذا كانت جريدة البارحة جزءاً من الكوميديا ايضاً . ولكن الرجل العجوز سحبها من تحت السرير .

ثم أوضح :

« لقد اعطاني بيريفو اياها في ال « بوديفا » . »

- « سوف أعود حين أحصل على السردينات .
ولسوف أبقى حصتك وحصتي في الثلج ، وغداً صباحاً
نقتسمها . وعندما أرجع تحدثني حديث اليبسبول . »
- « اليانكيون * لا يمكن ان ينهزموا . »
- « ولكنني أخشى هنود كليفلند . »
- « ليكن إيمانك باليانكيين قوياً ، يا بُنيّ . فكر
في دي ماغيو العظيم . »
- « أنا أخشى أثمار ديترويت وهنود كليفلند في وقت
واحد . »
- « كن حذراً ، وإلاّ خشيت حمر سينسيناتي ،
وجوارب شيكاغو البيضاء . »
- « أدرسها ، وخبّرني عندما أعود . »
- « ألا ترى ان علينا ان نشري ورقة بانصيب
منتهاية بخمسة وثمانين ؟ غداً هو اليوم الخامس والثمانون . »
فأجابه الصبيّ :
« هذه فكرة . ولكن ما قولك بالسبعة والثمانين
التي بلغها رقمك القياسي الكبير ؟ »
- « لن يقع ذلك مرتين . هل تظنّ أن في استطاعتنا
ان نجد ورقة تنتهي بخمسة وثمانين ؟ »
- « في إمكاني ان أطلب واحدة . »

* Yankees لفظ يطلق على سكان الولايات الاميركية الشمالية على وجه
الخصوص . [المغرب]

- « عُشْر ورقة فقط . وهذا يساوي دولارين
ونصف . بمن نستطيع أن نقترض هذا المبلغ ؟ »
- « هذا شيء سهل . في ميسوري دائماً ان أجد من
يقرضني دولارين ونصف . »

- « وأحسب أني أنا أيضاً قادر على ذلك . ولكنني
لا أحاول أن أستدين . ان المرة يستدين أولاً ، ثم
يستعطي . »

فقال الصبي :

« التحيف جيداً ، ايها الشيخ . تذكر أننا في
أيلول . »

فقال الشيخ :

« شهر السمكات الكبار . إن أيما إنسان يستطيع أن
يعمل صياداً في نوار . »

فقال الصبي :

« سوف أمضي التماساً للسردين . »

وحين رجع الفتى كان الشيخ نائماً في الكرسي ، وكانت
الشمس قد غربت . ورفع الفتى البطانية العسكرية العتيقة
عن السرير ونشرها على ظهر الكرسي وفوق كتفي الرجل
العجوز . كانتا كتفين غريبتين ، فهما ما تزالان قويتين
برغم ان صاحبهما طاعن في السن . وكانت العنق لا تزال
قوية ايضاً . وما كانت التجاعيد لتظهر كثيراً في هذا
الوضع الذي انحنى فيه رأس الشيخ الى أمام . وكانت

فيمصه قد رُقِّعَ مرّاتٍ عديدة حتى لأصبح أشبه ما يكون
بالشراع ، وكانت الرقع قد اتخذت بعد ان أنصلتها
الشمس الف لون ولون . ومع ذلك فقد كان رأس
الشيخ هرمًا جدًّا ، ولم تكن على وجهه ، وقد اغمض
عينيه ، أثاره من حياة . وكانت الصحيفة ملقاة على
ركبتيه ، وكان ثقل ذراعه يجلسها هناك برغم نسيم المساء .
أما قدماه فكانتا حافيتين .

وتركه الغلام مستوسلاً في رقاده ، وغاب عنه من
جديد . حتى اذا عاد ألفاه نائمًا ما يزال .

- « إنهض ايها الشيخ ! » قال الغلام ذلك ووضع
يده على إحدى ركبتي الرجل العجوز .
وفتح الشيخ عينيه . وبدأ لحظة وكأنه يحاول أن
ينزع نفسه من أعماق حلمه . ثم افتتت شفتاه عن ابتسامته .
وسأله :

« ما هذا الذي معك ؟ »

فأجابه الغلام :

« طعام العشاء . سوف نتناول طعام العشاء . »

- « أنا لست جائعًا جدًّا . »

- « هيا ، تناول طعامك . انت لا تستطيع ان

تصطاد السمك اذا لم تأكل . »

- « لقد وقع لي هذا من قبل . » قال الشيخ ذلك

ونهمض فتناول الصحيفة وطواها . ثم إنه شرع يطوي

البطانية .

فقال الصبي :

« أبقِ البطانية عليك . انت لن تنطلق للصيد من غير
أكلٍ ما دمتُ انا حياً . »

فقال الشيخ :-

« إذن فعيش دهرآ طويلاً واعتنِ بنفسك . ما الذي
سوف تأكله ؟ »

- « لوبياء سوداء ، وارز ، وموز مقلي ، وشيء
من اللحم المطبوخ . »

كان الغلام قد أتى بذلك كله من « السطيحة » في
سطيحة ذات طبقتين . وكان قد وضع السكينتين
والشوكتين والملعقتين في جيوبه ، وجعلها بمجموعتين مستقلتين
ولفّ كلاً منها بمنديل من ورق .

- « من اعطاك هذا ؟ »

- « مارتن . صاحب السطيحة . »

- « يجب ان أشكره . »

- « لا داعي الى ذلك . فقد شكرته أنا . »

فقال الشيخ :

« سوف أعطيه لحم البطن من احدى السمكات الكبار .
هل قدّم الينا ذلك اكثر من مرة ؟ »

- « أحسب ذلك . »

- « إذن يجب ان اعطيه شيئاً اكثر من لحم البطن

إنه كريم حقاً . »

« لقد أرسل الينا زجاجتي بيوة أيضاً . »

« انا أحب البيوة في عُلب الصفيح اكثر . »

« أدري . ولكن هذه معبأة في زجاجات . إنها

بيوة هاتوي . ولسوف أعيد الزجاجتين . »

فقال الشيخ :

« هذا لطف منك كثير . هل ينبغي أن نأكل ؟ »

فأجابه الفتى في رقة :

« كنتُ أسألك ان تفعل . انا لم أتنا ان أفصح

السطيعة إلا بعد ان تبدي استعدادك لذلك . »

فقال الشيخ :

« أنا مستعد الآن . كل ما في الأمر اني كنت اريد

ان أغسل وجهي ويدي . »

أين يغتسل ؟ كذلك فكر الغلام . لقد كان ماء

القربة العام على بُعد شارعين من كوخه . وكان ينبغي

ان أحمل له الماء الى هنا - كذلك فكر الغلام - وأحمل

صابونةً ومنشفة جيدة أيضاً . أنا قليل الدراية حقاً .

يجب ان آتية بقميص آخر وسترة للشتاء . ليس هذا

فحسب ، بل يجب أن آتية أيضاً بجذاء من نوع ما ،

وبطانية أخرى . »

وقال الشيخ :

« ان لحك المطبوخ هذا ممتاز . »

فسأله الغلام :

« حدثني عن مباريات اليبسبول . »
فقال الشيخ مبتهجاً : « في المباراة الاميركية فاز
اليانكيون كما قلت . »
فأخبره الغلام :

« لقد انهزموا اليوم . »
- « هذا لا يُفيد شيئاً . لقد عاد دي ماغيو العظيم
سيرته الاولى . »

- « إن في الفريق لاعبين آخرين . »
- « طبعاً ، ولكنه هو الذي يرجح الكفة . ففسي
المباراة الاخرى بين بروكلين وفيلاديلفيا ، يجب ان أقف
في جانب بروكلين . ولكني اعود فأفكر في « دك سيدلر »
وتلك الضربات العظيمة في الملعب القديم . »
- « انا لم أرَ في حياتي لاعباً يقذف الكرة الى أبعد
بما يقذفها هو . »

- « هل تذكر تلك الايام التي كان يفدُ فيها على
« السطيحة » ؟ لقد رغبتُ في ان أصطحبه الى الصيد ،
ولكن الحياء حال بيني وبين دعوته الى ذلك . ثم سألتك
ان تدعوه فغلب عليك الحياء أيضاً . »

- « ادري . كانت غلطة كبيرة . فقد كان من
الجايز ان يمضي معنا . ولو فعل ، إذن لفرزنا بذكري لن
نسأها طول حياتنا . »

فقال الشيخ :

« لشدّ ما أحب ان أصطحب دي ماغيو العظيم الى الصيد . يقولون ان اياه كان صياداً . ولعله كان فقيراً مثلنا ، فهو يستطيع ان يفهمنا . »

— « ان والد سيدسر العظيم لم يكن فقيراً قط . وكان ابوه هذا يشترك في المباريات الكبرى وهو في مثل سني . »

— « حين كنت في مثل سنك كنت واقفاً أمام السارية في مركب شراعي يطوف سواحل إفريقيا ، وكنت قد رأيت الأسود على الشيطان ، بعد ان هبط الليل . »

— « أدري . لقد حدثتني عن ذلك . »

— « عمّ ينبغي أن نتحدث : عن إفريقيا أم عن البيسبول ؟ »

فقال الفتى :

« عن البيسبول في ما أظن . حدثتني عن جوت ج ماك غراو العظيم . » (ولفظ الفتى « جوتا » بدلاً من « ج » .)

— « كان من عادته ان يفيد على « السطيحة » بعض الاحيان ايضاً ، في الابله الحالية . ولكنه كان جافياً فقط الكلام يجتنب الناس معاشرته حين يكون سكران . ولقد كان ذهنه مشغولاً ابدأً بسباقات الخيل انشغاله بمباريات

اليسبول . وعلى اية حال فقد كانت جيوبه ملامى ، دائماً ،
بلوائح الحيل . وكثيراً ما كان يذكر أسماء الأفراس في
احاديثه التلفونية . «

فقال الغلام :

« كان منظماً عظيماً . بل إن أبي يعتقد انه أعظم
المنظمين على الاطلاق . »

فقال الشيخ :

« لأنه كان يجيء الى هنا كثيراً . ولو ان دوروتشر
واصل المجيء الى هنا كل عام لعدّه أبوك أعظم المنظمين . »
- « من هو المنظم الأعظم حقاً : لوك أم مايك
غونزاليز ؟ »

- « أحسب انها فرسا رهان . »

- « أما أحسن الصيادين فأنت من غير شك . »

- « لا . أنا اعرف آخرين هم افضل مني . »

فقال الغلام :

« هناك كثير من الصيادين البارعين وقليل من

الصيادين العظام . ولكن ليس هناك واحد مثلك . »

- « شكراً . انت تدخل السعادة على قلبي . ارجو

ان لا تمر بنا سمكة هي من الضخامة بحيث تثبت أننا

كنا مخطئين . »

- « ليس هناك مثل هذه السمكة اذا كنت لا تزال

قويّاً كما تقول . »

فقال الشيخ :

« قد لا اكون قوياً بقدر ما أظن . ولكنني أعرف كثيراً من الحيل ، وإن عندي عزيمة صادقة . »
- « ينبغي ان تأوي الى السرير الآن لكي تنهض نشيطاً في الصباح . سوف أعيد هذه الاشياء كلها الى « السطحة » . »

- « طاب مساؤك اذن . سوف أوقظك في الصباح . »
فقال الغلام :

« انت ساعتى المنبهة . »

فقال الرجل العجوز :

« الشيخوخة هي ساعتى المنبهة . لماذا يستيقظ الشيوخ باكراً الى هذا الحد ؟ يفعلون ذلك لكي يتمتعوا بنهار أطول ؟ »

فأجابه الصبي :

« لست ادري . كل ما ادريه ان الفتيان الصغار ينامون في ساعة متأخرة ويجدون صعوبة في أن يستيقظوا صباحاً . »

فقال الشيخ :

« استطيع ان اتذكر ذلك . سوف أوقظك في الوقت المناسب . »

- « انا لا أحب ان يوقظني هو . ان ذلك يشعرني وكأنني دونه مقاماً . »

من
»
الن
الك
زو
وب
الص
ولم
المف
الك
يرت
سو
ففت
وس
الا
على
القل
وا
الغا

— « أدري . »

— « نعم جيداً ، ايها الشيخ . »

وغادر الفتى المكان . كانا قد تناولنا الطعام وليس على الطاولة مصباح . ولقد خلع الشيخ بنطلونه ومضى الى السرير تحت جناح الظلام . ولف بنطلونه ليتخذ منه وسادة واضعاً الجريدة في داخله . ولف نفسه في البطانية ، واستلقى على الصحف العتيقة الاخرى التي غطت نوابض السرير .

وما هي إلا فترة قصيرة حتى استسلم للرقاد وحلم بأفريقية يوم كان صبياً وبالشيطان الذهبية الطويلة ، وبالشيطان الناصعة البياض الى حد يؤذي العين ، وبالرؤوس العالية ، والجبال العظيمة السمراء . لقد انتهى الى ان يجيا ، الآن ، كل ليلة في ذلك الساحل الافريقي . وفي أحلامه سمع هدير الامواج ، ورأى قوارب الزوج تنطلق من خلالها . وعطرت رقاده ريا القطران وحبال القنب القديمة التي يستروحها المرء على متون المراكب . وعند الصباح ، كانت نسائم البر تحمل اليه رائحة افريقيا نفسها . وكان من دأبه حين يتنشق نسائم البر أن ينهض من فراشه ويرتدي ملابسه ويمضي فيوقف الغلام . ولكن عيب نسائم البر اقبل ، هذه الليلة في ساعة مبكرة جداً . « في ساعة مبكرة جداً » ، كذلك قال في غمرة حلمه . واسترسل في الرقاد لكي يرى قمم الجزائر البيضاء تنهض

من اعماق البحر . وبعد ذلك تبدت له في الحلم موانيء
« جزر الكاناري » ومراسيها المختلفة .

ولم يعد يرى في ما يراه النائم شيئاً من العواصف او
النساء او الاحداث الكبيرة . بل لم يعد يرى لا السمكات
الكبار ، ولا المشاحنات ، ولا مباريات القوى ، وحتى
زوجته نفسها . لقد أمسى الآن يحلم بالاماكن فقط
وبالأسود السارحة على الشاطيء . لقد لعبت كالتقطط
الصغيرة في الغسق ، ولقد أحبها هو كما أحب الغلام .
ولم ير الغلام في منامه قط .

ونفض الشيخ من فراشه ، ونظر الى القمر من خلال الباب
المفتوح ، ونشر بنطلونه وارتماه . ثم انه بال خارج
الكوخ ، واتخذ سبيله الصاعدة لكي يوقظ الغلام . كان
يرتجف من برد الصباح ، ولكنه عرف ان هذه الارتجافة
سوف تدفئه ، فما هي غير برهة حتى ينكب على مجذافيه .
ولم يكن على باب البيت الذي يقطنه الغلام قفل ما ،
ففتحه الشيخ ، ودخل البيت بقدميه الخافيتين في تؤدة
وسكينة . كان الغلام نائماً في سرير صغير قائم في الغرفة
الاولى ، وكان في ميسور الشيخ ان يتبينه في وضوح
على ضوء القمر المحتضر . وفي رفق أمسك بأحدى
القدمين الرخصتين ورفعها في الهواء ، حتى استفاق الغلام
واستدار ، ونظر اليه . وحتى الشيخ رأسه ، فتناول
الغلام بنطلونه عن الكرسي المجاور للسرير ، ثم استوى قاعدته في

الفراش وارتدى البنطلون .
وغادر الشيخ البيت ، ومضى الغلام في أثره . كان
النعاس لا يزال في عينيه ، فوضع الشيخ ذراعه على
كتفيه وقال :

« أنا آسف لايقاظي اياك . »

فقال الغلام :

« دع عنك ذلك . النهوض باكرآ هو وحده اللائق

بالرجال . »

وهبطا الطريق الى كوخ الشيخ . وعلى طول الطريق
وتحت جناح الظلام ، كان رجال حفاة الاقدام يتحركون ،
وقد حملوا سوارى قواربهم على اكتافهم .

حتى اذا انتهيا الى الكوخ حمل الغلام الحياوط في
السلة ، والحربون والمحجن . وحمل الشيخ سارية القارب
والشراع الملتف حولها على كتفه .

وسأله الغلام :

« هل تريد قهوة ؟ »

- « من الافضل ان نضع العدة في القارب ، ثم

نحتسي شيئاً منها . »

وتناولوا القهوة بعلبتي صفيح من علب الحليب المكثف ،
في حانة تستقبل الصيادين في الصباح الباكر .

وسأله الغلام :

« هل نمت نوماً عميقاً ، أيها الجد ؟ » كان يتخذ

سبيله الى اليقظة ، الآن ، على الرغم من انه كان من
العسير عليه ان يذود النعاس عن جفنيه .

فأجابه الشيخ :

« اجل ، نمت نوماً عميقاً ، يا مانولين . أنا واثق من

النجاح اليوم . »

فقال الغلام :

« وكذلك أنا . والآن يجب ان آتي بنصيبك وبنصيب

من السردين ، وأن احمل اليك أطعامك الجديدة . إن

معلمي هو الذي يحمل عدتنا . وليس لأحد الحق في

ان يمستها على الاطلاق . »

فقال الشيخ :

« لكل طريقة . لقد أجزت لك ان تحمل اي شيء

وانت بعد في الخامسة من العمر . »

فقال الفتى :

« اعرف ذلك . وسوف أرجع على التو . أخذ

مقداراً آخر من القهوة . إن لنا حساباً جارياً هنا . »

وانطلق حافي القدمين ، فوق الصخور المرجانية ، الى

مستودع الثلج العمومي الذي حفظت فيه الأطعمة .

واحتسى الشيخ قهوته في تودة . فقد كانت كل ما

سيدخل جوفه طوال ذلك النهار ، وكان يعرف جيداً أنه

في أمس الحاجة اليها . فمذ عهد طويل وتناول الطعام

يزعجه ، فهو لا يصطحب أيما غداء أبداً . كانت عنده

زجاجة ماء في مقدم القارب ، وكان ذلك كل ما يحتاج
اليه طوال النهار .

ورجع الغلام حاملاً السردين والطعمين وقد لف
هذين الاخيرين بأحدى الصحف العتيقة . وهبطا المجرز
المؤدي الى القارب ، غارزين اقدامهما في الرمل الحصب ،
ورفعا القارب وقذفا به ، فانساب على وجه الماء .

- « أتمنى لك حظاً سعيداً ، ايها الجد . »

- « وانا أتمنى لك حظاً سعيداً . » كذلك اجابه

الشيخ ، وشدّ أربطة المجذافين القتيبة الى الوتدين ، وانحنى
الى امام متكئاً على طرفي المجذافين المسطحين المندفعين في
الماء ، وسقّ طريقه الى خارج المرفأ في غمرة من الظلام .
وكانت قد انطلقت في عرض اليمّ قوارب أخرى مقبلة من
السواحل المجاورة . ولقد سمع الشيخ اصوات مجاذيفها وهي
تلطم المياه وتدفعها على الرغم من انه ما كان قادراً على
ان يتبينها ببصره بعد أن غاب القمر وراء الروابي .

وكان بعضهم يتحدث ، احياناً ، في قارب ما . ولكن
معظم القوارب كانت صامتة لا ينبثق منها غير اصوات
المجاذيف . وتناثرت تلك القوارب بعد أن غدت بعيدة عن
مرفأ ، واتجه كل منها الى جزء من المحيط كان يرجو
ان يقع فيه على صيد سمين . وعرف الشيخ أنه قد اوغل
كثيراً . لقد خلف وراءه عيبير الأرض ، وأنشأ يجذف
ويجذف . وكانت كل ضربة مجذاف تقربه من ريبا المحيط

الصباحية الصافية . لقد رأى الى اعشاب الخليج تتوهج في
الماء توهجاً فوسفورياً ، بينما كان يجذف في ذلك الجزء من
الاقويانوس الذي دعاه الصيادون « البئر الكبيرة » بسبب
من عمقه المفاجيء البالغ سبعة مائة * حيث تحتشد الاسماك
على اختلاف ضروبها نتيجةً للدرادير ** التي يحدثها التيار
حين يصطدم بجدران قاع المحيط الشديدة الانحدار . هنا
كان يتركز الروبيان والسردين ، بل وتنشأ في بعض
الاحيان مستعمرات من السبيدج في أعماق الثقوب . وكانت
هذه ترتفع الى قريب من السطح عند المساء فتغذي بها
جميع الاسماك النائمة .

وفي غمرة من الظلام كان في ميسور الشيخ أن يستشعر
أن الصباح يُغدّ الخطى . وفيما هو يجذف انتهت الى سمعه
ذبذبات الاسماك الطائرة وهي تنبثق من الماء ، وصغير
اجنحتها القاسية وهي تحلق في الظلام . وكان مولعاً جداً
بالاسماك الطائرة لانها كانت صديقه الرئيسية في عرض
الاقويانوس . كانت العصافير تثير شفته ، وبخاصة سنونو
البحر الصغيرة المهزولة الداكنة التي ما تفتأ تطير وتبحث
ولا تكاد تجد شيئاً على الاطلاق . وقال في ذات نفسه :
الطيور تحيا حياة أقسى من حياتنا نحن ، باستثناء الجوارح
والطيور السراق . لماذا جعلت العصافير نحيلة رقيقة الحاشية

* القامة مقياس يساوي ستة اقدام او متراً و ٨٣ سنتم [العرب]

** الدردور : موضع في البحر يجيش ماؤه فيخاف فيه الفرق .

مثل سنونو البحر هذه ، ما دام الاوقيانوس وحشياً الى
هذا الحد ؟ إن الاوقيانوس لطيف وجميل جداً ، ولكن
في استطاعته ان يصبح وحشياً ، وحشياً الى ابعد الحدود ،
وفي مثل لمح البصر . ولا ريب في ان هذه العصافير الصغيرة
التي تطير ، وتفوص ، وتقنص - بأصواتها الهزيلة المحزونة -
هي ارق من أن تحتل حياة البحار .

وكان يدعو المحيط « البحر » *La mar* وهو الاسم
الذي يطلقه الناس باللغة الاسبانية على المحيط حين
يتعشقونه . وفي بعض الاحيان كان اولئك الذين يتعشقون
المحيط يذمونه او يسبونه ولكنهم كانوا يفعلون ذلك دائماً
وكانهم يتحدثون عن امرأة . وكان بعض الصيادين الأحداث
سناً - اولئك الذين يصطنعون عوامات تطفو بها صنابيرهم
والذين يملكون زوارق بخارية اشتروها في الفترة التي بيعت
خلالها أكباد الأقراس بأثمان غالية جداً - يدعون المحيط
« البحر » *El mar* ، وهو اسم مذكر . كانوا يتحدثون
عنه بوصفه خصماً ، او مكاناً ، بل بوصفه عدواً ايضاً .
ولكن الشيخ كان لا يفكر فيه إلا ككائن مؤنث ،
والا كشيء يهب المن الجزيلة أو يجبسها . واذا كانت
« البحر » تسلك مسلكاً أحق او خبيثاً فلأنها لا تستطيع
ان تفعل غير ذلك . إن القمر يذهب بصوابها كما تذهب
المرأة بصواب الرجل - كذلك قال الشيخ في ذات نفسه .
كان يجتذب تجديفاً موصولاً . ولم يكن ذلك عسيراً

عليه لأنه كان يحتفظ بسرعه دائماً ، ولأن سطح المحيط كان أملس صقيلاً باستثناء بعض الاخاديد التي كان التيار يحدثها بين الفينة والفينة . وكان قد عهد الى التيار في ان يقوم بثلك المهمة ، حتى اذا بزغ الفجر أدرك أنه قد اندفع الى ابعد بما كان يرجو ان يبلغه في هذه الساعة .

لقد جربتُ الآبار العميقة اسبوعاً كاملاً ، فلم افز بشيء . كذلك قال في ذات نفسه . اما اليوم فسألني شبكي في مستعمرات البينيث والحُنَيْزيري ، ولعلي أقع على واحدة ضخمة بينها .

وقبل ان يكتمل ضوء النهار أخرج الشيخ أطعمته ، وكاد يندفع مع التيار . وغاص واحد من تلك الأطعام الى عمق مقداره اربعون قامة . وغاص الطعم الثاني الى عمق خمس وسبعين قامة ، على حين غاص الثالث والرابع في المياه الزرقاء الى عمق مئة قامة ومئة وخمس وعشرين قامة على التعاقب . وكان كل طعم يتدلى مطأطيء الرأس وساق الصنارة في داخل السمكة الطعم ، وقد سُدَّت وخيطة في إحكام ، على حين كان الجزء البارز من الصنارة ، القوس والرأس ، مغطى بالسردين الطازج . وكانت كل من سمكات السردين قد سُلكت من خلال عينيها الاثنتين بحيث شكل مجموعها ضرباً من الاكليل فوق الفولاذ الناتيء . وبكلمة ، فلم يكن ثمة مليمتر واحد من

تلك الصنارة المعدة لصيد احدى السمكات الكبار الا وهو
حسن الرائحة طيب المذاق .

وكان الغلام قد اعطاه اثنتين من سمك السن الصغير
الطارح ، او الحُنَيزيري . وكان الشيخ قد علقها بخيطي
الصنارة الاشد امعاناً في الغوص ، فوترتاها وكأتهما الرصاص .
أما الحيطان الآخران فكان قد علق بها سمكة ضخمة زرقاء
من النوع المعروف بالعداء ، وأخرى صفراء من النوع
المعروف بسمك الكراكي . وكان قد استعملها من قبل ،
ولكنها كانتا ما تزالان في حال حسنة جداً . وأياً ما
كان فالسردين الممتاز كان جديراً بأن يهبها عبيراً وجاذبية .
وكان كل من الحيوط في مثل نخانة قلم رصاصي كبير ،
وكان معقوداً حول عود اخضر لتين ، فما إن يُجذب الطعم
او يُمسّ حتى يغوص العود في الماء . وكان الشيخ يحتفظ
بلفيفتين من الحيوط طول كل منهما اربعون قامة ، ففي
ميسوره ان يستعين بها اذا ما احتاج الى مزيد من الحيوط
وتطلبت سمكة ما خيطاً يزيد طوله على ثلاثئة قامة .
وفي تلك اللحظة راقب الرجل وضع العيدان الثلاثة
من فوق جانب القارب ، وجذف في تودة لكي يُبقي
خيوط الصنارة عمودية مشدودة الى أعماقها السوية . كانت
الظلام قد توارى ، وكانت الشمس على وشك ان تشرق
بين لحظة ولحظة .

ثم إن الشمس انبثقت من البحر رقيقة مهزولة ،

وغدا في ميسور الشيخ ان يرى القوارب الاخرى ،
خفيضة مع مستوى الماء ، غير نائية عن الشاطئ ، وقد
انتشرت عبر التيار . ثم ازدادت الشمس إشراقاً ، وانعكس
وهجها على صفحة الماء . حتى اذا تقدمت في معارج السماء
عكس البحر المستوي أشعتها اللاهبة الى عيني الشيخ فكادت
تحرقها . وجذف من غير ان ينظر اليها ، وخفض بصره
نحو الماء ، وراقب الحيوط الغائصة على نحو مباشر في ظلمات
اليم . لقد امسك بها في وضع مستقيم ليس يقدر على مثله
أي رجل آخر بحيث كان ثمة عند كل مستوى من
مستويات المحيط طعامٌ ينتظر ، حيناً اراد له ان ينتظر تماماً ،
أما سمكة يتفق ان تسبح هناك . اما الصيادون الآخرون
فكانوا يدعون التيار يتقاذف خيوطهم ، وكثيراً ما تكون
تلك الحيوط على عمق ستين قامة في حين يظنها الصيادون
على عمق مئة .

أما انا فامسك بالحيوط في ضبط . كذلك قال الشيخ
في ذات نفسه . كل ما في الامر أني لم اعد محظوظاً على
الاطلاق . ولكن من يدري ؟ لعلي اليوم أن اوفق الى شيء .
إن كل يوم من الايام يفتح للانسان صفحة جديدة . وان
من الافضل ان يكون المرء محظوظاً ، ولكنني أوتر ان
أكون دقيقاً . حتى اذا اقبل الحظ بعد ذلك وجدني على
اتم الاستعداد .

وازدادت الشمس ارتفاعاً بعد ساعتين من الزمان ، ولم

'ينزل النظر' الى الشرق اذى كبيراً بعينه . كانت ثمة في مدى البصر ثلاثة قوارب ليس غير ، وكانت تتمهل خفيفة جداً ، قريبة جداً من الشاطيء .

وقال في ذات نفسه : منذ صباي الاول والشمس المبكرة تؤذي عيني . ومع ذلك فيها ما تزالان صاحبتين . وعند المساء ، أستطيع ان أنظر في وجهها - هي الشمس - من غير ان تصاب عيناى بالسُّفعة . أما في الصباح فالنظر الى الشمس يررثني ألماً شديداً .

وفي تلك اللحظة بالذات بَصُرَ بنسر بحريّ ذي جناحين طويلين سوداوين بحوّم أمامه في السماء . وما هي الا لحظة حتى أسفّ النسر على نحو خاطف ، مائلاً على جناحيه المنحرفين الى الوراء ، ثم عاود التحويم من جديد .

وقال الشيخ في صوت عال :

« لقد أنهى مباحثه . لقد اكتشف شيئاً . »

وجذف في ببطء وفي اطراد الى حيث كان الطائر بحوّم . ولم يصطنع الشيخ السرعة ، وكان حريصاً أبداً على أن يُبقي خطوط صنارته مستقيمة متوترة . ولكنه سبق التيارَ بعض الشيء بحيث ظل يصطاد في دقة وضبط ، وإن يكن اصطياده ذلك اسرع مما كان جديراً به ان يكون لو لم يحاول ان يلحق بالطائر .

وحلّق الطائر في الفضاء ، ثم انشأ بحوّم وجناحاه جامدان لا حراك بهما . وفجأةً انقضّ من حلق . وبصُر

الشيخ بسمكات طائرة تنبتق من الماء وتقلع في بأس فوق
سطح البحر .

وقال الرجل العجوز في صوت عالٍ :

« دلافين ! دلافين ضخمة ! »

وسحب المجدافين من محوريهما ، وأخرج صنارة صغيرة
من تحت مقدم القارب . كانت لها قاعدة معدنية
وشصّ متوسط الحجم . وعلّق بالشصّ طعمياً من السردين .
وألقاه من جانب ، ثم شدّ الحيط الى حلقة في مؤخر
القارب . ثم طعم صنارة اخرى وتركها تقشني في ظل
القيدوم * . وعاود التجديف ومراقبة الطائر الاسود
الطويل الجناحين ، وكان قد أسفّ ، الآن ، حتى لكاد
يلامس سطح الماء .

وفجأة انحرف الطائر منقضاً من جديد على السمكات
الطائرة ، ثم رفرف بجناحيه في جنون ، ولكن على غير
طائل . وكان في ميسور الشيخ ان يرى الانتفاخ الطفيف
الذي احدثته الدلافين الكبيرة ، على وجه الماء ، فيما هي
تطارد الاسماك الفارة . وكانت الدلافين تشقّ طريقها تحت
الماء ، في سرعة بالغة ، متعقبّة تلك الاسماك ، رجاء ان
تكون لها بالمرصاد حين تعاود الهبوط . وقال الشيخ في
ذات نفسه : إنها جمهرة ضخمة من الدلافين . وانها لمنتشرة
في كل مكان . وليس للاسماك الطائرة كبير حظّ في

* قيدوم المركب : مقدمه .

النجاة . والطائر نفسه لن ينال من ذلك كله شيئاً .
فالاسماك الطائرة اضخم من ان يقدر عليها ؛ وهي تنطلق
في سرعة خاطفة .

وراقب الاسماك الطائرة وهي تنبجس من الماء الكرة
تلو الكرة ، وجهود الطائر الضائعة من اجل الفوز
بأحداها . وقال في ذات نفسه : لقد افلتت هذه الجمهرة
مني . انها بعيدة جداً ، وسريعة جداً . ولكن من
يدري ، فلعلي ان افوز بواحدة منها تامة ، ولعل
سمكتي الكبيرة أن تكون غير بعيد عنها . إن سمكتي
الكبيرة يجب ان تكون في مكان ما .

وفوق البرّ نهدت السحاب وكأنها الجبال . ولم يبق من
الشاطئ غير خطٍ طويل أخضر تنهض خلفه الكشبان
الزرقاء الرمادية . كانت المياه زرقاء داكنة ، الآن
- داكنة الى حدّ يكاد يجعلها بنفسجية . وحين خفض
الشيخ بصره نحوها رأى طفافة البحر * الحمراء في المياه
الداكنة ، والضوء العجيب الذي أرسلته الشمس آنشد .
وراقب خيوطه فالفها تنحدر في اللجة على نحو مستقيم حتى
تغيب في الأعماق . وغمرته السعادة لرؤية طففاوة البحر
تلك لأنها كانت تعني وجود السمك في وفرة . وكانت
الشمس مرتفعة جداً ، وكانت الأضواء العجيبة التي احدثها

* او البلاكتون plankton ويقصد بها الكائنات الحية النباتية او الحيوانية
الطافية في البحار .
[المغرب]

انعكاسها على صفحة الماء تؤذن بأن الجو سوف يكون
جيداً ، وكذلك أفادت أشكال السحاب المخيمة على البر .
ولكن الطير كان قد احتجب عن البصر ، أو كاد ،
وما عاد يبدو فوق سطح الماء شيء باستثناء باقات من
عشب سارغاس الأصفر الناصل اللون ، ومثانة ارجوانية ،
هلامية ، 'قزحية لرثة بحر * كانت تطفو بجذء القارب .
لقد انقلبت على جنبها ، ثم قومت وضعها . وطفت
مبتهجة مثل 'فقاعة الصابون ، وأذناها الارجوانية القاتلة
البالغ طولها نحواً من متر تنسحب ورائها في الماء .
وقال الشيخ :

« آغوا مالا *agua mala* . اذهبي ايتها العاهرة ! »
ومن غير ان يترك مجذافيه انحنى قليلاً الى امام وحدق
في الماء ، فرأى السمكات الدقاق المصبغة بلون الأذئاب
المنسجبة ، والسابجة بين تلك الأذئاب في الظل الصغير الذي
بسطته الفقاعة الطافية . كانت لها مناعة تقيها 'سم' رئات
البحر ، ولكن البشر لا يستمعون بمثل تلك المناعة . فما
إن تعلق بعض اذناها بخيط الصنارة وتمسّ بلزاجتها ولونها
الأرجواني بيد الشيخ او ذراعه ، فيما هو يتربص باحدى
السمكات الدوائر ، حتى تنققع تلك اليد أو الذراع وتعلوها
قروح كالتي يثيرها اللبلاب السام ، او السنديان السام .
ولكن الاذى الذي تلحقه الـ « آغوا مالا » خاطف

* رثة البحر او المدوسة حيوان بحري عادم الفقرات . [المغرب]

مؤلم كضربة سوط .

وكانت الفقايع الفزحية اللون فاتنة . ولكنها كانت
اشد الكائنات البحرية مخادعة وغدراً ، وكان الشيخ
يجب ان يرى سلاحف البحر الضخمة تلتهمها . وكانت
السلاحف اذا ما بصُرت بها انقضت عليها من امام ،
مغمضة عيونها لكي تنعم بالوقاية التامة ، ثم تلتهمها جسداً
وأذناً . لقد احب الشيخ مشهد السلاحف وهي تفتك
برئات البحر هذه ، واحب ان يمشي فوقها ، على رمل
الشاطيء ، بعد هدوء العاصفة ، وان يسمع فرقتها حين
يدوسها باخصي قدميه القاسيين كالقرون .

لقد احب السلاحف الخضراء ، والسلاحف الصقريّة
المناقير ، باناقتها وسرعتها وثمنها الغالي ! على حين كان
يستشعر ازدياداً ودياً لذلك الضرب من السلاحف الضخمة
الحقاء ، « العديمة الرشاقة » ، الصفراء الدروع ، السالكة
في جبهها مسالك غريبة ، الملتهمه رئات البحر مبتهجة
مغمضة العيون .

ولم يكن متحجج الفؤاد مع السلاحف برغم انه انصرف
الى صيدها سنوات وسنوات . كان يأسى لها جميعاً ،
حتى تلك السلاحف الكبيرة « ذوات الظهور الشبيهة
بالصناديق » والتي يبلغ طولها طول القارب ، وتزن طنناً .
إن معظم الناس لا يحملون في افئدتهم ذرة من الشفقة على
السلاحف لان قلب السلحفاة يواصل الحفقتان بعد انقضاء

بضع ساعات على نحرها . ولكن الرجل العجوز قال في ذات نفسه : إن لي انا ايضاً مثل هذا الفؤاد ، ويداي وذراعاي مثل ايدي السلاحف وأذرعها . والى هذا فهو يأكل بيضها الابيض لكي يُنفرغ في جسده القوة . لقد فعل ذلك طوال شهر نوار ، حتى اذا اقبل شهرا ايلول وتشرين الاول كان في ميسوره ان يواجه السمكة الضخمة حقاً بعزمٍ حديد .

ليس هذا فحسب . بل لقد كان من دأبه أن يشرب كل يوم مقداراً من زيت كبد القرش ، بالاناء المعدني الكبير المفضل في تلك السقيفة التي يضع فيها كثير من الصيادين معدّهم . فهناك كان ذلك الزيت مبدولاً لطالبيه من الصيادين . وكان معظمهم يكره مذاقه . ولكنه لم يكن اسوأ من النهوض في مثل الساعة المبكرة التي ينهضون فيها صباحاً . والى هذا فقد كان علاجاً ممتازاً للزكام والنزلة الوافدة ، وكان ذا فائدة كبيرة للعين .

وهنا رفع الشيخ بصره نحو السماء فرأى الطائر بجوّم من جديد .

وقال في صوت عالٍ :

« لقد وجد سمكة . »

ولم تنبثق من سطح الماء أيما سمكة طائرة ، ولم تنتشر السُميكات هنا وهناك . ولكن فيما كان الشيخ يراقب ، بصراً بسمكة تنبثق صغيرة تثب في الهواء ثم تستدير وتنقض

غائصة في الماء . واومض التنُّ لجينياً في وجه الشمس ،
وبعد ان انقلب غائصاً في اليمّ برز من الماء ثانٍ وثالث
وراحت تتواهب في كل ناحية ، ماخضة الماء ، قافزة
قفزات طويلة خلف الأ طعام . كانت تطوقها وتستاقها ذات
السين وذات الشمال .

وقال الشيخ في ذات نفسه : اذا لم تنطلق في سرعة بالغة
فسوف أقبض عليها . ثم راقب جمهرة الاسماك تلك وهي
تثير الزبد على وجه الماء ، والطارئ يسفّ فجاءةً ويغوص
التماساً للسُميكات التي عصف بها الذعر فأكرهت على ان
تفرع الى السطح .

وقال الرجل العجوز :

« هذا الطائر يُسعف كثيراً . »

وفي تلك اللحظة عينها ، توتر خيط الصنارة التي في مؤخر
القارب ، تحت قدمه المطوّقة بعروة الحيط . فاطرح
بجدافيه ، واستشعر ثقلَ جذبة التنّ الصغير المرتعشة ،
فما هو بمسك بالحيط في إحكام ، ويجذبه نحوه . وتعاضم
ارتعاش التنّ ، وصار في ميسور الشيخ ان يرى في الماء
ظهر السمكة الازرق المسودّ وجنبيها الذهبيين قبل ان
يرفعها من فوق حافة القارب ويقذف بها الى داخله .
واستلقى التنّ في مؤخر المركب ، تحت اشعة الشمس
اللاهبة ، مكتنزاً قنبلي الشكل . وفتح عينيه الضخمتين
الغبيتين ، وراح يخبط قعر المركب بذيله النظيف الرشيق

الحركة خبطاً خاطفاً مرتعشاً . لقد اختنق . وبدافع من الشفقة ضربه الشيخ على رأسه ، ورفسه بقدمه - وكان جسده ما يزال يرتعد - الى مؤخرة القارب الظليلة .

وصاح الشيخ :

« سمكة خنيزيرية . إنها جديرة بأن تصبح طعماً جميلاً ، وان وزنها لا يقل عن عشرة أرطال . »

ولم يذكر متى شرع يخاطب نفسه ، اول مرة ، بصوت عال ؟ كان في الايام الحالية يعني وهو منفرد ، ولقد غنى في موهن من الليل ، بعض الاحيان ، حين كان وحده يدير الشكان في مراكب صيد السمك او قوارب صيد السلاحف . ولعله إنما شرع يتكلم بصوت عال ، وهو متوحد ، عندما فارقه الغلام . ولكنه لا يذكر ذلك . ففي تلك الايام التي تعاون فيها هو والغلام على الصيد كان من عاداتها ان لا يتكلمها إلا اذا دعت الضرورة الى الكلام . كانا يتحدثان في الليل ، او حين تعوقها الرياح عن العمل . ففي البحر ليس من المستحسن ان يتكلم المرء من غير ما داع ، ولقد كان الشيخ يؤمن دائماً بهذه السنته ويحترمها . اما الآن ، فقد افرغ افكاره غير مرة في قالب مسموع إذ لم يكن ثمة احد قد يزعبه ذلك .

وقال في صوت عال :

« لو سمعني الناس اتكلم بصوت مرتفع اذن لظنوا

انني معتوه . ولكن ما دمت غير معتوه فلست ابالي
بظنونهم . وعلى اية حال فيجب ان لا أنسى ان عند
الاغنياء راديوات تتحدث اليهم في مراكزهم ، وتأتيهم
بأبناء مباريات اليبسبول . »

وقال في ذات نفسه : ليس هذا اوان التفكير
باليبسبول . إنه اوان التفكير في شيء واحد ليس غير :
الشيء الذي خلقت من أجله . وقد يكون حول تلك
الجمهرة احدى السمكات الكبيرة - كذلك فكّر الشيخ .
أنا لم اصطد إلا سمكة ضالة من ذلك السمك الخنيزيري
المنطلق بحثاً عن الرزق . ولكن انطلاقه كان سريعاً
بمعنى في البعد . ومن عجب ان كل ما يبرز على سطح
الماء اليوم ، يعدو بسرعة البرق ويتجه نحو الشمال الشرقي .
هل للساعة علاقة بذلك ، أم أنها علامة من علامات الاحوال
الجوية لا اعرفها ؟

ولم يعد في ميسوره أن يرى خط الساحل الأخضر .
كل ما كان قادراً على رؤيته فتن الكشبان الزرق التي
بدت بيضاء وكان الثلج كان يكلمها ، والسحب التي
ترأت فوقها أشبه بجبال ثلجية عالية . كان البحر داكناً
جداً ، وكان النور يشكّل على وجه الماء مواشير من
الضياء . وذابت رقع الطفاوة البالغة آلافاً مؤلفة تحت
وهج الشمس التي انتهت الى كبد السماء . واذا بالشيخ لا
يرى غير المواشير الكبيرة العميقة في المياه الزرقاء وغير

خيوطه الغارقة مستقيمة متوترة في الأعماق . وقدّر ان عمق المحيط هناك يبلغ ميلاً واحداً .

وعاودت سمكات التنّ الهبوط الى ما تحت سطح الماء . وكان الصيادون يخلعون اسم التنّ على جميع تلك الضروب من السمك ، ولا يميزون كل طائفة منها بالعلم الذي تعرف به إلا حين يمضون لبيعها او لاستبدالها بالأطعام . وكانت أشعة الشمس قد غدت لاهبةً ، ولقد استشعرها الشيخ على مؤخر عنقه ، وأحسّ بالعرق يتحدّر على ظهره وهو يجتذّف .

وقال في ذات نفسه : في ميسوري ان أدع القارب يجري مع التيار ، وأناام بعد أن الفّ طرف الحبل حول إبهام قدمي لكي أفيق في الوقت المناسب . ولكن هذا هو يومي الخامس والثمانون ، وينبغي ان أعمل في بقعة واحتراس .

وفي تلك اللحظة ذاتها ، وكان يراقب خيوطه ، رأى احد العيدان الحضر النائمة التي تقوم مقام العوامات تغطس فجأة في الماء .

وقال :

« أجل ، أجل ، ها أنا ذا ! »

وسحب المجدافين من غير ان يدعها يمسان القارب . وانحنى الى أمام ملتصقاً الحيط فأمسكه في رفق بين الإبهام والسبابة من يده اليمنى . فلم يستشعر فيه توتراً ولم يجد

له ثقلاً . وأطبق يده على الحيط في غير إحكام . وما
هي إلا برهة حتى أحسّ يجذب متردد ، ليس بالصلب
ولا بالثقيل ، فعرف أيّ شيء كان وراء ذلك على وجه
الضبط . فعلى عمق مئة قامة كان سيف* يأكل السردين
الذي يغطي رأس الصنارة وساقها حيث اخترق الشخص
المطروق باليد رأس التنّ الصغير .

وأمسك الشيخ بالحيط في رقة . وييده اليسرى ، وفي
رفق ، حلّ العقدة التي تشده الى العود . وهكذا صار
في ميسوره ان يجعله ينساب بين أصابعه من غير ان تشعر
السكة بأي توتر .

وفكر الشيخ : ما دمت في مثل هذا الشهر ، وعلى
مثل هذا البعد عن الساحل فليس من ريب في انها سمكة
ضخمة جداً . ثم انشأ يخاطب السمكة قائلاً :

« كلي هذه الأطعمة ، ايتها السمكة ، كليها ! ارجوك
ان تأكليها ! لقد حفظتها طازجة من اجلك انت ، على
عمق ستمئة قدم في ذلك الماء البارد وتحت جنح الظلام .
هيا ، قومي بجولة اخرى في العتمة ، ثم ارجعي وكليها ! »
واستشعر الجذب الرفيق ، ثم احسّ يجذبه أغف :
لقد كان انتزاع رأس سردينه ما من الشخص اكثر صعوبة
على ما يظهر . ولكن هذا كله لم يتكشّف عن شيء .
وصاح الرجل العجوز :

* سمكة ضخمة قوية ذات خطم يشبه الريح .

« تعالي ! قومي بجولة اخرى ! ليس عليك الا ان تستروحيها ! أليست شهية ؟ كلي من السردين ما تشائين الآن ، وحين تنتهين فهناك سمك التّن . إنه مكتنز اللحم ، بارد ، لذيذ . لا تكوني خجلة ايّتها السمكة ! كليها ! »
وانتظر ، والحيط بين ابهامه وسبابته ، مراقباً هذا الحيط وسائر الحيوط في آن معاً لأن السمكة قد تسبح عالياً او نازلاً . ثم احسن بالجدبة الرفيقة نفسها ، كرة اخرى .

وصاح الرجل العجوز :

« لقد اقبلت عليها . يا الهي ساعدّها على التهامها ! »
ومع ذلك ، فلم تلتهمها . لقد ولت السمكة . ولم يستشعر الشيخ شيئاً ما بعد ذلك .
وقال :

« من المستحيل ان تذهب . المسيح يعلم ان من المستحيل ان تذهب . إنها تقوم بجولة . لعلها ازدردت شصاً من قبل فهي لا تزال تذكر شيئاً من الألم الذي اورثها اياه . »

ثم إنه احسن بالحيط 'يجذب' ، كرة اخرى ، جذباً رقيقاً . وأشرق وجهه بالبشر .
وقال :

« لقد قامت بجولة ليس غير . وسوف تلتهمها الآن . »
وغمرته السعادة وهو يستشعر انجذاب الحيط الرفيق .

ثم احسن بشيء قاسٍ وثقيل الى حد لا يُصدّق . ولم يكن ذلك غير السمكة . فأرخی الحيط ، وأرخی ، وأرخی ، مستنجداً باحدى اللقيفتين الاحتياطيتين . وفيما الحيط يعن في الفوص ، مناسباً في رشاقة من بين اصابع الرجل العجوز ، كان لا يزال في استطاعته ان 'يحس' بالثقل العظيم على الرغم من أن ضغط إبهامه وسبابته كاد يكون غير ملحوظ .

وقال :

« اي سمكة هذه ! لقد اعترضت الصنارة فيها الآن .
وإنها لتفتر بها . »

وفكّر : وبعد ذلك سوف تستدير . سوف تبتلعها . ولم يقل ذلك لانه كان يعلم ان المرء اذا عبّر عن فرحه باقتراب النصر فقد لا يرى وجه النصر ابدأ . لقد ادرك أي ضخامة كانت لتلك السمكة . وتمثلها ساجدة في الظلمات والتنّ معترض في حلقها . وفي تلك اللحظة احسن بالسمكة تكفّ عن الحركة ، ولكن الثقل ما يزال هناك . ثم تعاظم الثقل ، فأملى جزءاً إضافياً من الحيط وأحكم ضغط سبابته وإبهامه لحظة . فازداد الثقل تعاضياً ، وانشأ يغور على نحو عمودي مستقيم .

وقال الشيخ :

« لقد فازت بها . ويجب عليّ الآن ان ادعها لتلتهمها ،
وتلتهمها جيداً . »

وترك الحيط ينساب من خلال اصابعه ، فيما انحنى الى امام باسطاً يده اليسرى ، وأوثق طرفي الحيطين الاحتياطين بالعروة المعدة لهذا الغرض في طرف خيط ثالث . وهكذا أمسى على أحسن استعداد . صار عنده ثلاث لفائف من الحيوط الاحتياطية طول كل منها اربعون قامة ، الى جانب الليفة التي كان يستعملها .
وقال مخاطباً السمكة :

« هيا ، كلي قطعة صغيرة اخرى . كليها جيداً ! »
وفي ذات نفسه قال : كليها حتى تغيب الصنارة في قلبك وتقتلك . تعالي في سهولة ويسر ودعيني أطعنك بالحربون . حسن جداً . هل انت مستعدة ؟ هل جلست الى المائدة منذ وقت طويل ؟

- « والآن ! » قال ذلك بصوت عال ، جاذباً بكلتا يديه جذباً شديداً . وكسب مقداراً من الحيط طوله ياردة واحدة ، ثم جذب وجذب ، متتابعاً ذات اليمين وذات الشمال ، باقصى ما يستطيع من قوة ، دائراً حول نفسه ، مستعيناً بثقل جسده كله .

ولم يشر ذلك الجهد شيئاً . لقد ابتعدت السمكة في تودة ، وعجز الشيخ عن ان يرفعها إنشأ واحداً . كان حبله متيناً مُعداً للسمكات الثقال . ولقد شده الى ظهره حتى توتر وأخذت حبات الماء تتوالب من حوله . ثم ان الحبل شرع يطلق فحيحاً بطيئاً في الماء . ولم يُفلته الشيخ ،

مستنداً الى مقعد التجذيف ، منحنيماً الى الورا لكي يكون
اقدر على مقاومة القوة الجاذبة . وبدأ القارب ينحرف
شيئاً فشيئاً نحو الشمال الغربي .

وانطلقت السمكة على نحوٍ موصول ، وانطلق هو
معها ، في ببطء ، فوق المياه الهادئة . كانت الأ طعام
الآخري ما تزال في اعماق المياه ، ولكن لم يكن ثمة
ما يمكن عمله .

وقال الشيخ في صوت مرتفع :

« ليت الغلام كان معي . إن سمكة تجرني ، وأنا منها
بمثابة وتد الجر . ولقد كان في استطاعتي أن اشد الحيط
شداً اقوى ، ولكنني اخاف ان تقطعه السمكة ، إن
فعلت . يجب ان أتشبث بها ما استطعت ، وأن أُملي
لها حين تكون في حاجة الى ذلك . وإني اشكر الله على
ان السمكة تضي الى أمام بدلاً من ان تهبط الى أدنى . »
ما الذي سأعمله اذا ما وطنت النفس على الهبوط الى
أدنى ؟ لست ادري . ما الذي سأعمله اذا ما غاصت وقضت
نحبها ؟ لست ادري . كل ما أدريه هو اني سوف أصنع
شيئاً . إن هناك اشياء كثيرة في ميسوري أن أصنعها .
وتشبث بالحيط فوق ظهره وراقب انحرافه في الماء ،
بينما كان القارب يتجه نحو الشمال الغربي في اطراد .
وقال بينه وبين نفسه : إن ذلك سوف يقتلها . إنها
لا تستطيع ان تفعل ذلك الى آخر الدهر . ولكن اربع

ساعات تقضت ولا يزال ذلك السيف الهائل يشق عباب
الماء نحو عرض البحر من غير انقطاع ، جاراً القارب
وراءه ، فيما الرجل العجوز يشد بالحيط ، متقوس الظهر ،
في قوة وعزم .

وقال :

« لقد اطعمتها الشص » عند الظهر . ثم لم أر لها وجهاً
حتى الآن . »

وكان قد ضغط قبعته المصنوعة من القش فوق رأسه
ضغطاً شديداً ، قبل ان يوفق الى إقحام الشص في غم
السمكة ، فاذا هي تحز جبينه حزاً موجعاً . واستبد به
الظما أيضاً . فركع محاذراً ان يقطع الحيط ، وانزلق نحو
مقدم الزورق ما استطاع الى ذلك سبيلاً ، وبسط إحدى
ذراعيه التماساً لزجاجة الماء . وفتح الزجاجه وشرب بضع
جرعات . ثم استند الى القيدوم ، ليقعد بعد على السارية
المرفوعة من مكانها ، والتي كان الشراع قد لف حولها ،
وحاول ان لا يفكر - أن يتجلد ويصبر ليس غير .

ثم انه التفت الى وراءه ، فإذا هو غير قادر ، بعد ،
على أن يرى شيئاً من اليابسة . وقال في ذات نفسه : لن
يقدم ذلك ولن يؤخر . في استطاعتي دائماً ان أرجع على
أضواء هافانا . ولن تغرب الشمس قبل ساعتين اثنتين ،
ولعل السمكة أن ترتفع خلال هذه الفترة . واذا لم ترتفع
فقد تفعل ذلك مع القمر . واذا لم يتم ذلك فلعله ان

يتمّ مع بزوغ الشمس . انا لا استشعر ايّ مفعس ، واني
لأحسّ بفيض من القوة . إنها هي التي ابتلعت الشمس ،
لا أنا . ولكن ينبغي ان تكون هائلة جداً ، هذه
السمكة ، حتى تشدني على هذا النحو . لا شك في أنها
تعضّ على المعدن بأسنانها . لشدّ ما أتمنى لو استطعت ان
اراهها ، لحظة واحدة ليس غير ، لكي اعرف ايّ خصم
أقارع .

ولم يغيّر السيفُ لا مسلكه ولا اتجاهه طوال ذلك
الليل - أو هذا على الاقل ما استطاع الشيخ أن ينتهي
اليه من مراقبته مواقع النجوم . وأمسي الجوّ بارداً بعد ان
غربت الشمس ، وجفّ عرق الرجل العجوز على ظهره
وذراعيه وقدميه المهرمتين . وكان قد رفع ، خلال النهار ،
ذلك الكيس الذي يغطي صندوق الأ طعام ونشره تحت
أشعة الشمس كي يجفّ . حتى اذا غابت الشمس طوّق به
عنقه فتدلى جزء منه فوق ظهره . وفي احتراس أمرّ ذلك
الجزء من تحت الجبل الذي كان يعترض ، الآن ،
منكبيه . وكان في ذلك ما زوّده بضرب من الوسادة
خفف من وطأة الجبل على جسده . ليس هذا فحسب ،
بل لقد وفق الى ان يستند ب صدره الى مقدّم القارب
فيجد في ذلك بعض الراحة . والحقّ ان وضعه ذلك
انتهى الى ان يكون أقلّ إيلاماً ليس غير . ولكنه
اعتدّه ، بالقياس الى وضعه السابق ، مريحاً أو يكاد .

وقال في ذات نفسه : لا حيلة لي فيها ، ولا حيلة لها في . ما دامت تواصل خطتها هذه ، على الأقل .
ووقف لحظةً وبال من فوق جانب الزورق ، وتطلع الى النجوم كي يتحقق من الوجة التي يتخذها . ومن اعلى كتفيه حتى صفحة الماء بدا الحيط اشبه ما يكون بخط ذي توهج فوسفوري . كان سيرهما قد امسى ابطاً من ذي قبل ، ولم يكن الوهج المنبعث من هافانا قوياً شأنه في ما مضى ، فاستنتج الشيخ من ذلك ان التيار يحملهما في اتجاه الشرق . وقال في ذات نفسه : اذا فقدت انوار هافانا فعنى ذلك اننا نمنع في الاتجاه نحو الشرق . لانه لو واصلت السمكة سيرها على نحو مستقيم اذن لقدّر لي ان ارى الاضواء بضع ساعات اخرى . ليت شعري عمّ أسفرت مباريات اليبسبول الكبرى اليوم ؟ لا ريب في ان من الرائع أن يتمكن الانسان من متابعة تلك المباريات بالراديو فيما هو منهك في الصيد ! ثم اضاف مخاطباً نفسه : فكّر فيها دائماً . فكّر في ما انت بسبيله . يجب ان لا ترتكب حماقة ما .

وبعدئذ قال في صوت مرتفع :

« لشدّ ما اتمنى لو كان الغلام معي . اذن لمدّ اليّ يد المساعدة ، واذن لشاهد هذا ! »

وفكّر : إن احداً لا يجوز ان يواجه البحر وحيداً في مثل سني هذه . ولكن لم يكن من ذلك بدّ . يجب

ان آكل التنّ قبل أن يفسد . إن هذا يحفظ عليّ
قوتي . واذكر ، مها تكن غير جائع ، ان عليك ان
تأكل ذلك التنّ في الصباح . أذكر ذلك !

وفي موهن من الليل تقدّم خنزيران من خنازير البحر
نحو القارب ، وكان في ميسوره أن يسمع وثبها ونخيرهما .
وكان في ميسوره ان يميز لهاث الذكر الغليظ من تنهد
الانثى الرفيق .

وقال الشيخ :

« خنزيران رائعان . انها يلعبان ويمزحان ويجب بعضهما
بعضاً . وإن بيننا وبينهما رباطاً من الاخوة كالذي بيننا
وبين السمكات الطائرة . »

ثم شرع يأسى للسمكة الكبيرة التي أوقعها في شركه .
وقال في ذات نفسه : إنها فاتنة عجيبة ، وليس يدري احد
مبلغها من العمر . انا لم ارَ في حياتي كلها سمكة في مثل
قوتها أو في مثل مسالكها الغريبة . لعلها من الحكمة
والتعقل بحيث تحجم عن الوثوب . وفي استطاعتها ان تهلكني
لو وثبت أو اندفعت اندفاعه ضاربة . ولكن من يدري ؟
لعلها وقعت في الشرك مرات عديدة من قبل فهي تدرك
أن هذه الطريقة هي التي يتعين عليها ان تصطنعها في القتال .
إنها لا تستطيع أن تعرف ان خصمها الذي تواجهه رجل
واحد ليس غير ، وأنه رجل هرم عالي السن . ولكن
اي سمكة هائلة هي ! واي ثمن سوف تباع به في السوق

شرط ان يكون لحمها رقيقاً بعض الشيء ! لقد تناولت
الطعم كأنها ذكر ، وهي تشد كأنها ذكر ، وليس ينطوي
نضالها على شيء من الذعر . ألا ليت شعري ، هل في
رأسها خطة ما ، أم أنها مجرد يائسة مثلي أنا ؟
وذكر كيف ألقم الطعم ، ذات مرة ، أحد سيفين اثنين .
إن السمكة الذكر تدع السمكة الانثى تفتدي قبلها دائماً .
فما كان من السمكة التي نشب الشص في حلقها - السمكة
الانثى - إلا ان قاتلت قتالاً ضارياً مدعوراً يائساً ما
لبث أن انهك قواها . وطوال تلك الفترة اقامت السمكة
الذكر الى جانبها ، عابرة الحيط ، محوطة معها عند
سطح الماء . وإنما كان تحويمها قريباً الى حد خشبي الشيخ
معه ان تقطع الحيط بذنبها الحادة مثل المنجل وفي مثل
حجمه وشكله تقريباً . حتى اذا جذب الشيخ الانثى
بمحجنه وأهوى عليها بالهراوة ، متشبثاً بمنقارها الذي كان
طويلاً كالرمح خشناً مثل ورق الزجاج ، ضارباً ايها على
أم رأسها الى أن استحال لونها الى لون يكاد يشبه لون
القصدير الذي تظلي به ظهور المرايا ، ثم رفعها هو
والغلام الى القارب - حتى اذا تم ذلك كله اقامت
السمكة الذكر الى جانب القارب لم تفارقه . وبعد ذلك ،
فما كان الرجل العجوز يجر الحيوط ويعدّ الحريون ،
وثبت السمكة الذكر عالياً في الهواء ، غير بعيد عن
القارب ، لتري ابن كانت أنشأها ، ثم غاصت في اعماق

الماء ، وقد نشرت جناحيها المصبغين بلون ازرق فاتح
- وبكلمة أخرى زعانفها الصدرية - وبدت جميع خطوط
جلدها العريضة ذات اللون البنفسجي الزاهي . ما كان
اجملها ! وما كان أخلصها وأوفاهها ! إن الشيخ لم ينس
ذلك قط .

وقال الشيخ في ما بينه وبين نفسه : هذه أفجع قصة
وقعت لي مع أسياف البحر . ولقد رانَ الحزن على
الغلام أيضاً ، فالتمسنا من السمكة القليل العفوَ والمغفرة
ونحرناها في الحال .

- « ليت الغلام كان معي ! » قال ذلك في صوت
عالٍ واستقر على ألواح مقدم القارب المستديرة ، وأحس
من خلال الحيط المشدود الى كتفيه ، بقوة السمكة
الضخمة تقوده في غير ما انتقطع الى حيث اختارت .

وفكّر الشيخ : لقد غدرتُ بها غدرًا . ولولا جبايلي
لما أكرهتُ علي أن تختار . وكانت قد آثرت البقاء في
اعماق المياه القائمة بعيداً عن جميع الاشرار والجبانل
وضروب الغدر . ثم جئتُ أنا واخترتُ ان انطلق الى
هنا لكي ابحت عنها بعيداً عن جميع الناس ، بعيداً عن
جميع الناس في العالم . وها نحن الآن ، أنا وهي ،
متحدان . متحدان مند الظهر . وليس ثمة أحدٌ يمدُّ إلي
أو إليها ، يد العون .

وقال في ذات نفسه : لعله ما كان ينبغي لي ان

اكون صياداً . ولكن ذلك هو الشيء الذي خلقت من
أجله . يجب ان لا انسى ، بحال من الاحوال ، ان
آكل سمكة التنّ حين يرتفع الضحى .

ومع الفجر أمسك شيء ما بأحد الاطعام التي كانت
وراءه . وانقصف العود الاخضر ، وشرع الحيط يندفع
فوق حافة ظهر القارب . وفي غمرة الظلام استلّ الشيخ
مديته من غمدها ، وانحنى الى الورا ، ملقياً ثقل السمكة
بكاملها على كتفه اليسرى ، وقطع الحيط على خشب الحافة .
ثم انه قطع الحيط الآخر ، الأقرب اليه ، ووصل -
في غمرة الظلام أيضاً - ما بين طرفي الليفتين الاحتياطيتين .
لقد عمل في كثير من البراعة بيد واحدة ، واطناً بقدمه
على الليفتين تثبيتاً لها ، فيما كان يحكم عقْد الحيطين .
وهكذا تمت له ست لفائف من الحيوط الاضافية . اثنتان
من كل من الحيطين الرئيسيين اللذين بترهما ، واثنتان من
الحيط الذي وقعت سمكته في شركه . وكانت كلها
مترابطة .

وقال في ما بينه وبين نفسه : حين يرتفع النهار سوف
أنقلب الى الحيط البالغ طوله اربعين قامة وأبتره هو ايضاً
وأشد الحيوط الاضافية الى غيرها . وبذلك اخسر مشتي
قامة من حبال الزوارق القطلونية الجيدة ، عدا الشصوص
وقواعد الصنائير . ولكن هذه كلها يمكن تعويضها ، اما
سمكتي الكبيرة فمن ذا الذي يعوضني منها اذا ما أُلقت

الشص "سمكة" أخرى فقطعت ما بيني وبينها ؟ انا لا ادري ما نوع هذه السمكة التي التهمت الطعام في هذه اللحظة : أهي سيف ، ام عريض المنقار ، أم قرش ؟ انا لم أسحبها قط حتى أعرف . وينبغي ان اخلص منها في اسرع وقت مستطاع .
ثم قال بصوت عال :

« ليت الغلام كان معي ! »

وفكّر : ولكن الغلام ليس معك . ليس معك غير جلدك الهرم ، ومن الخير لك ان تتردد الى خيطك الاخير ، الآن ، سواء أكانت الظلمة غامرة الكون ام لم تكن ، وتقطعه وتضيف خيطي الاحتياط الى سائر الحيوط .

وكذلك فعل . كان عملاً عسيراً في الظلام . وفيما هو منصرف الى العمل وثبت السمكة وثبة طرحته على وجهه ارضاً ، وغادرت تحت عينيه جرحاً . وسال الدم على خده بعض الشيء . ولكنه ما لبث أن تحنّث وجف قبل ان ينتهي الى ذقنه ، فاتخذ الشيخ سبيله عائداً الى مقدم القارب واستند الى خشبه . وعدّل وضع الكيس ، وفي عناية بالغة أزاح الحيط الى ناحية جديدة من كتفيه . وإذا اتخذ من منكببيه شبه آلة رافعة ، راح يقدر في دقة قوة السمكة . ليس هذا فحسب ، بل لقد صار في ميسوره ان يسبل يده في الماء لتمّ له ، بذلك ، فكرة

عن سرعة القارب .

لبت شعري لماذا وثبتت هذه الوثبة ؟ ينبغي ان يكون الشخص المعدني قد انزلق فوق ظهرها الشبيه بالجبل . وليس من ريب في ان ظهرها لا يمكن ان يؤلمها بقدر ما يؤلمني ظهري . ولكنها لا تستطيع ان تستاق هذا القارب الى الأبد ، مهها كانت ضخمة . وعلى اية حال فقد تخلصت الآن من كل ما يعوقني . وان عندي احتياطياً كبيراً من الحيوط . وهل كنت اطعم في شيء اكثر من ذلك ؟

وفي وداعة قال بصوت عال :

« أيتها السمكة ، سوف أبقى معك حتى تحضرنني

المنية ! »

وهي ايضاً سوف تبقى معي في ما اظن ، كذلك فكّر الشيخ ، وأنشأ ينتظر ارتفاع الضحى . كان الجو بارداً الآن ، قبيل الفجر ، فالتصق الشيخ بالحشب الناساً للدفء . وقال بينه وبين نفسه : سوف أبقى ما بقيت هي . ومع مولد الضوء بصره بخيطه ممتداً في انحراف نحو أعماق البحر . وتقدّم القارب في اطراد . حتى اذا ذرّ قرن الشمس أصابت أشعتها منكب الشيخ الأيمن . وقال :

« إنها تتجه نحو الشمال . »

وفكّر : كان خليقاً بالتيار أن يدفع بنا الى بعيد

في اتجاه الشرق . ولشدة ما أتمنى لو انخرقت السمكة مع التيار . فمثل ذلك يؤذن بأن التعب قد شرع يتطرق اليها . حتى اذا تقدمت الشمس في معارج السماء لم يبدُ على السمكة ايما اشارة من امارات التعب . ولكن كان ثمة ظاهرة واحدة مشجعة : فقد كان انحراف الحيط يؤذن بأنها كانت تسبح على عمق اقل من ذي قبل . ولم يكن ذلك ليعني ، ضرورةً ، أنها سوف تثب . ولكنها قد تفعل .

وقال الرجل العجوز :

« دعها تقفز يا رب ! ان عندي مقداراً من الحيوط لمواجهةها . »

وفكّر في ما بينه وبين نفسه : لعلي اذا جذبت الحيط جذباً اشدّ قليلاً آذاها ذلك فوثبت . والآث ، وقد طلع النهار فقد صار من الخير ان تثب كي تمتليء الجيوب المرصوفة على طول عمودها الفقري بالهواء ، وعندئذ يتعذر عليها الفوص الى الاعماق والموت فيها .

وحاول ان يشدّ الحيط بعض الشيء ؛ ولكنه كان قد انتهى ، بعد ان التهمت السمكة شصّه ، الى حالٍ من التوتر تكاد تبلغ نقطة الانقصاص . حتى اذا انحنى الى الوراء لكي يجذبه اصطدم بمقاومة أفهسته ان من المتعذر عليه تقصير الحيط بعد الآن . وفكر قائلاً : ينبغي ان لا أشدّه على الاطلاق . إن كل شدة توسع الشقّ الذي

أحدثته الصنارة ، فما إن تثب السمكة حتى تتحرر منها .
وعلى أية حال ، فإن الشمس تمدني بنشاط جديد ، وللمرة
الأولى لا أجد الرغبة في النظر إليها .

وكانت أعشاب صفراء قد علقت بالحيط ، ولكن
الشيخ رأى في ذلك حملاً جديداً يتعين على السمكة أن
تقطره . وسعد بهذا . لقد كانت أعشاب الخليج الصفراء
التي أطلقت ذلك الضوء الفوسفوري كله في ساعات الليل .
ووجه الخطاب إلى السمكة :

« أيتها السمكة ! أنا احبك وأكن لك اعظم الاحترام ،
ولكنني سوف أصرّك قبل أن ينقضي النهار ! »
وفكر بينه وبين نفسه : فلنخرج ذلك .

وتقدّم نحو القارب طائر صغير مقبل من ناحية الشمال .
كان طائراً من تلك الطيور المفردة الحمراء الذنب ، وكان
ينطلق مسفّاً فوق سطح الماء . ولقد كان في ميسور
الشيخ أن يلاحظ أنه متعب جداً .

وانتهى الطائر الصغير إلى مؤخر القارب ، واستراح
هناك . ثم انشأ يحوم حول رأس الشيخ ليستقر فوق
الحيط حيث نعم بقسط أكبر من الراحة .

وسأل الشيخ الطائر :

« ما عمرك ؟ هل هذه أول رحلة تقوم بها ؟ »
ونظر الطائر إليه وهو يتكلم . كان من التعب بمحلّ
جعله يجهم حتى عن التأمل في الحيط ودرسه . ولقد
ترنح عليه فيما كانت قدماه الدقيقتان تتشبّهان به .

وقال له الشيخ :

« إنه مكين . انه مكين اكثر مما يجب . وعلى كل حال ، فليس ينبغي لك ان تكون متعباً الى هذا الحد بعد ليلة لا ربح فيها . ما الذي يدعو الطيور الى الفرار ؟ »
وبينه وبين نفسه قال : انها البزاة . البزاة التي تنطلق الى عرض البحر لكي تلقاها هناك . ولكنه لم يذكر شيئاً من ذلك على مسمع من الطائر الذي ما كان في طوقه أن يفهمه على أية حال ، والذي كان خليقاً به ان يتعلم أشياء كثيرة عن البزاة في وقت قريب .
وقال مخاطباً الطائر الصغير :

« إنعم براحة سابعة ، أيها الطائر الصغير . ثم انطلق نحو اليابسة وانتهز "فرصك مثل اي رجل او طائر او سمكة . »

وشجعه الكلام ، لأن ظهره كان قد تصلب الليلة البارحة ، فهو يؤلمه ألماً شديداً .
وقال :

« ابق في منزلي إذا شئت . انا آسف لعدم تمكيني من نشر الشراع ونقلك الى اليابسة على جناح النسيم الرفيق الذي يهب الآن . ولكن عندي ضيفاً عزيزاً ! »
وفي تلك اللحظة انتفضت السمكة انتفاضة مفاجئة صرعت الشيخ عند مقدم المركب ، وكان خليقاً بها ان تقذف به الى اعماق اليم لو لم يتشبث بجانب الزورق ويرخي الحيط بعض الشيء .

وكان العصفور قد طار حالما انتفض الحيط . ولم يوفق
الشيخ الى ان يراه وهو يطير . لقد لمس الحيط ، في
عناية ، بيده اليمنى ، ثم لاحظ ان يده ملوثة بالدم .
- « هذا يعني ان شيئاً ما قد جرحها . » قال ذلك
بصوت مرتفع ، وجذب الحيط ليرى ما اذا كان في
امكانه ان يقلب السمكة . ولكنه لم يكده يبلغ نقطة
الانقصاص حتى كفّ عن الجذب ، ، والتمس سناداً يقاوم
به ضغط الحيط .

وقال :

« واخيراً شعرت بألم الضربة ، ايتها السمكة .
وكذلك ، شهد الله ، شعرت انا ! »
واجال طرفه في ما حوله بحثاً عن العصفور ، إذ كان
يجد في رفقته عزاء وسلوى . ولكن العصفور كان قد
مضى لسبيله .

وقال الرجل في ما بينه وبين نفسه : انت لم تمكث
طويلاً . ولكنك مخطيء . لأن المكان الذي تقصد اليه
أقسى واصعب ، حتى تبلغ الشاطئ . كيف أجزت
للسمكة ان تصرعني بتلك الجذبة المفاجئة ؟ لقد غدوت
أبله من غير ريب ! أو لعلي كنت أنظر الى العصفور
وافكر فيه . والآن ، ينبغي أن أعمل في يقظة ، وأن
أكل التنّ حتى أحفظ عليّ قوتي .
وقال في صوت مرتفع :

« لبت الغلام كان معي ! وليتني جئت بشيء من
الملح ! »

وحول ثقل الحبل الى منكبيه الأيسر ، وركع في
احتراس ، وغسل يده في مياه المحيط وأبقاها مغمورة
هناك مدة تزيد على الدقيقة ، مراقباً الدم وهو ينسحب
على وجه البحر ، وحركة المياه المطردة حول يده فيما
كان القارب يتابع طريقه .

وقال الشيخ :

« لقد تباطأ كثيراً . »

وكان يود لو يُبقي يده في المياه المالحة فترة أطول ،
ولكنه خشي ان تجذبه السمكة جذبة اخرى مفاجئة .
فنهض ، ملتصقاً سناً يُقيم به توازنه ، ورفع يده في وجه
الشمس . كانت حزمة الحيط هي التي جرحت لحمه .
ولكن الجرح كان في الجزء العامل من يده . ولقد عرف
أنه قد يحتاج الى يديه الاثنتين قبل ان يبلغ هذا الصراع
غايته . ومن هنا كانت إصابته بهذا الجرح حتى قبل بدء
الصراع أمراً مزعجاً .

وقال حين جفت يده :

« والآن يجب ان آكل التن الصغير . في استطاعتي
أن اسجبه بالمحجن وأنعم بلحمه هنا ، في أمن . »
وانحنى الى أمام ، واستعان بالمحجن على سحب التن من
تحت مؤخر القارب ، محتسماً من أن يمس الحيوط الملتفة .

ثم انه نقل الحيط الى منكبه الأيسر كرة اخرى ، متكئاً
على يده وذراعه الايسرين ، ونزع التنّ من رأس المحجن ،
وأعاد المحجن الى مكانه . حتى اذا تمّ له ذلك وضع احدى
ركبتيه على السمكة وانتزع قَدَدًا طولية من لحم أحمر
داكن ، من مؤخر الرأس حتى الذنب . كانت قَدَدًا
إسفينية الشكل وكان قد قطعها من العمود الفقري الى حافة
البطن . وحين وُفق الى انتزاع ستّ قَدَدٍ نشرها على
خشب القيدوم ، ومسح مديته بجانب من بنطالونه ثم رفع
هيكل التنّ من ذيله وألقاه في اليمّ .

- « لست اظن ان في استطاعتي أن آكل واحدة »
بكاملها . « قال ذلك وأمرّ سكّينه عبر إحدى القَدَدِ .
كان في استطاعته ان يستشعر ضغط الحبل الثقيل المطرود .
وتشجبت يده اليسرى . وألقى عليها نظرة استمزاز فيما
كانت تتشبث بالحيط تشبثاً شديداً .

وقال :

« اي نوع من اليد أنتِ ؟ تشنجي اذا شئتِ .
إجعلني من نفسك مخلباً ، فلن يفيدك ذلك شيئاً ! »
وفكّر قائلاً : هيتا ، ونظر الى الماء عند منحرف
الحيط . « كل لحم التنّ هذا ، الآن ، فإنه جدير بأن
يقوّي يدك . إن الذنب ليس ذنب اليد ، بعد ان
قضيت هذا الوقت كله مع السمكة . ولكنك قد تبقى
معها الى آخر الدهر . كل التنّ الآن .

وتناول قطعة حشا بها فمه ، وأنشأ يمضغها في أناة .
لأنها لم تكن رديئة .

وقال في ذات نفسه : إمضغها جيداً وانتزع جميع
عصاراتها . ولا شك في أنك لو أكلتها مع شيء من عصير
الليمون الحامض أو عصير البرتقال ، أو مع شيء من
الملح ، لكانت أشهى .

وسأل يده المتشنجة التي انتهت الى ان تصبح متصلبة
مثل ايدي الموتى :

« كيف حالك ، أيتها اليد ؟ سوف آكل مقداراً
إضافياً من أجلك . »

وأكل الجزء الآخر من القدة التي كان قد قطعها
نصفين . ومضغها في تودة ، ثم تفل الجلد .

« كيف تشعرين الان ، أيتها اليد ؟ أم أن أو ان
معرفة ذلك لم يحن بعد ؟ »

وتناول قطعة اخرى وحشا بها فمه .

وفكّر بينه وبين نفسه : إن هذا التّن قوي حافل
بالدم . ولقد كنت محظوظاً حين اصطدته بدلاً من ان
اصطاد احد الدلافين . فالدلفين حاو اكثر مما ينبغي . اما
التن فأبعد ما يكون عن الحلاوة ، ولا تزال قوته كلها
كامنة فيه .

واردف مخاطباً نفسه : وأياً ما كان فليس ثمة غير
شيء اساسي واحد : هو أن آكل . وكم أتمنى لو كانت

عندي قليل من الملح . والشمس ؟ أتفسد ما بقي أم تجففه ؟
لست أدري . واذن فمن الافضل ان آكل ذلك كله على
الرغم من أني غير جائع . إن السمكة هادئة ثابتة . سوف
آكل ذلك كله . وعندئذ اصبح مستعداً لاستئناف العمل .
وقال :

« إعتصمي بالصبر ، أيتها اليد ! إنما أكره نفسي على
الأكل من أجلك ! »

وبينه وبين نفسه قال : « لشدّ ما أتمنى لو استطيع
أن أطعم السمكة . إنها اختي . ولكن يتعين عليّ ان
أقلها ، وان احتفظ بقوتي لكي أقدر على ذلك . وفي
أناة ووعي أكل القدد الأسفينية الشكل كلها .
وتصدّر ، ماسحاً يده بينظونه .
وقال :

« والآن ، في استطاعتك ان ترخي الجبل ، أيتها
اليد . وفي ميسوري أن أمسكه باليد اليمنى وحدها حتى
تكفي عن هذا الهراء ! »

ووضع قدمه اليسرى على الجبل الثقيل الذي كانت
اليد اليسرى ممسكة به . واتخذ من جسده كله مِحْلاً
يخفف به وطأة الجبل الذي أنقض ظهره .
وقال :

« يا السهي ، ساعدني على طرد هذا التشنج . لأنني
لا ادري ما الذي ستفعله السمكة . »

وبينه وبين نفسه قال : ولكنها تبدو هادئة تتبع
خطتها المرسومة . وفكرت : ولكن ما خطتها ؟ وما
هي خطتي ؟ إن عليّ ان أرتجل خطة تتفق مع خطتها ،
لأنها هي التي تفود ما دامت علي هذا العِظَم كله . ولو
أنها قرّرت ان تثب إذن لقتلتها . ولكنها تؤثر البقاء في
الأعماق ، الى الأبد . واذن فينبغي ان أبقى معها في
الاعماق ، الى الأبد .

وحكّ يده المتشنجة بينظونته ، وحاول أن يلبس
أصابعها . ولكنها أبت ان تنفتح . ومن يدري ، فلعلها
أن تنفتح اذا تعرّضت لأشعة الشمس . لعلها ان تنفتح
عندما تهضم سمكة التّنّ النيئة . ولكن اذا ما اضطرت
الى استعمالها فعندئذ سأعمد الى فتحها ، مهما يكن الثمن .
ولكني لا أريد ان أفتحها الآن عنوة . انا أوثر ان
تنفتح هي بطوعها ، وان تستأنف الحركة والنشاط ساعة
تشاء . وعلى أية حال ، فقد أسأت اليها كثيراً ، الليلة
البارحة ، حين تعيّن عليّ ان أحلّ مختلف الحيوط ثم اشد
بعضها الى بعض .

وأجال بصره في البحر واستشعر مدى الوحدة التي
تكتنفه . ولكنه ظلّ قادراً على ان يرى مواشير الضياء
في الاعماق المظلمة ، والحيط مندفعاً الى امام ، وتوجّجات
الماء الساجي العجيبة . كانت ترتفع الآن الى اعلى للقاء
الرياح التجارية . وتطلّع امامه فرأى سرباً من البط

البري يناطح السماء ، ثم يغيب ، ثم يبدو من جديد .
وأدرك الشيخ ان المرء لا يمكن ان يكون وحيداً ،
وحدةً كاملة ، في عرض البحر .

وفكر في اولئك الذين يخشون ان يركبوا الزوارق
وينطلقوا من الشاطئ الى ابعد من مدى النظر . وأدرك
انهم على صواب في الاشهر التي تتقلب فيها الاحوال الجوية
تقلباً مفاجئاً . ولكنهم اجتازوا هذا الموسم ، ودخلوا في
شهور الاعاصير . وحين تخلو هذه الشهور من الاعاصير
فلا ريب في انها اجمل ايام السنة على الاطلاق .

وحين تنذر الدنيا بأعصار يكون في مستطاعك دائماً
ان تقرأ أماراته في السماء ، قبل بضعة ايام ، اذا كنت
في اليم . إنهم لا يرونه من على الشاطئ لأنهم لا يعرفون
إلام ينبغي أن ينظروا - كذلك قال بينه وبين نفسه .
ويجب ان لا تنسى ، الى هذا ، ان شكل السحب حين
يُنظر اليها من اليابسة غير شكلها حين يُنظر اليها من
البحر . ولكن ليس ثمة اعاصير مقبلة الآن .

وتطلع الى السماء فرأى الغيوم البيضاء المتلبدة على
شكل طبقات متراكمة من « البوظة » الشبيهة ، ورأى
عالياً فوقها ، ريش الطحاريير * الرقيقة تناطح سماء أيلول

* cirrus ، واحدها طحورور ، وهي ضرب من الغيم على شكل
خيوط دقيقة متصلة على هيئة فرشاة او ندف صوفية او شبكات
صغيرة . وتكون في الغالب على هيئة غيمة ريشية صغيرة في اعلى
طبقات الجو . [المغرب]

العالية .

وقال في صوت مرتفع :

« نسيم عليل . هذا الجو يلائمني اكثر مما يلائمك ،
ايتها السمكة ! »

كانت يده اليسرى لا تزال متشنجة ، ولكنه كان قد
شرع بحل عقدها شيئاً بعد شيء .

وفكّر : أنا أكره التشنج . انه خدعة قدرة من خدع
جسدك نفسه . والواقع ان إصابة المرء بالاسهال نتيجة للتسمم
البتوميني والتقيء الناثيء عنه لأمرٌ مخجل حقاً أمام الناس .
أما التشنج فقد كان ينظر اليه نظرتة الى شيء أدهى من
ذلك وأمرٌ ، شيءٌ 'مخجل' نفس المرء وبخاصة حين يكون
وحيداً .

ويينه وبين نفسه قال : لو كان الغلام هنا اذن لفرك
يدي وليتها من الساعد . ولكن لا داعي للجزع ، فلا
بدّ ان تعاودها الحياة .

وفجأةً ، وحتى قبل ان يرى التغير الذي طرأ على
انحراف الحيط في الماء ، أحس بظاهرة جديدة في ثقل الجبل .
فما كان منه إلا ان انحنى على الحيط صافعاً فخذه في قوة
وعنف بيده اليسرى المتشنجة ، وانشأ بتأمل الحيط وهو
يرتفع .

وصاح :

« ها هو يصعد . هيا ، ايتها اليد ! هيا ارجوك ! »

وارتفع الحيط في تودة واطراد . ثم انتفخ الاوقيانوس
أمام القارب ، وانبتقت السمكة من الماء ، وكان انبثاقها
متطاولاً وكأنه شيء لا نهاية له ، وكان الماء يقطر من
جنباتها جميعاً . كانت تتلألأ تحت أشعة الشمس ، وكانت
رأسها وظهرها بنفسجين داكنين ، على حين كانت الحطوط
التي توشح جانبيها عريضة ذات لون أزرق ليلكي . أما ربحها
فكان طويلاً كمضرب البيسبول ، محددآ كالحسام . وانبتقت
السمكة بكاملها من الماء ، ثم غاصت من جديد بمثل مرونة
العواص . ورأى الشيخ الى ذيلها الضخم الشبيه بالمنجل يغيب
في الماء . وأخذ الحيط يعدو من جديد .

وقال الشيخ :

« إنها اطول من الزورق بقدمين اثنين . »

كان الحيط يكرّ في سرعة ، ولكن في اطراد ، ولم تكن
السمكة مذعورة على الاطلاق . ويديه الاثنتين حاول
الشيخ أن يشدّ الحيط في قوة ، محاذراً دائماً أن يبلغ نقطة
الانقصاص . لقد ادرك انه إن لم يعق حركة السمكة
بضغط مطّرد فعندئذ يصبح في ميسورها أن تمضي بالحيط
كله وتقطعه .

وقال في ذات نفسه : إنها سمكة هائلة ، ويتعين علي
أن انتصر عليها . ينبغي أن أحول بينها وبين ان تكون
فكرة عن قوتها ، وما الذي تستطيع ان تفعله اذا ما
انطلقت تعدو . ولو كنت مكانها اذن لأقلعت ، في

الحال ، عن كل شيء ومضيت حتى ينقطع شيء ما . ولكن هذه الحيوانات ليست ، والله الحمد ، على مثل ذكائنا ، نحن الذين نفتك بها . على الرغم من انها اكثر منا نبلاً واكثر مقدرة .

وكان الشيخ قد رأى في حياته كثيراً من السمكات الكبار . لقد رأى كثيرات تزن كل واحدة منها اكثر من الف رطل ، واصطاد اثنتين في مثل ذلك الحجم . ولكنه ما كان يعمل وحده آنذاك . اما اليوم فهو متوحد على ظهر هذا الزورق ، وقد احتجب الشاطئ عن ناظره ، وشد الى اكبر سمكة 'قدر له ان يراها أو ان يسمع بمثلها 'عمره' كله ، ولا تزال يده اليسرى مطبقة مثل برائن نسرٍ أنشبت في احدى الطرائد .

ويئنه وبين نفسه قال : ولكن التشنج سوف يزايلها آخر الامر . لا ريب في انها سوف تلين لتساعد يدي اليمنى . إن هناك ثلاثة أشياء يجب ان تظل متلازمة تلازم الأخوة : السمكة ويدي الاثنتان . أجل يتعين عليها ان تلين ... فليس جديراً باليد الوفية ان تصاب بالتشنج . وها هي ذي السمكة قد تباطأت كرة اخرى وعادت الى سرعتها السوية .

وفكّر : إني لأتساءل لماذا وثبتت ؟ لقد وثبتت و كأنما تريد ان تربني مبلغ ضخامتها . وعلى أية حال فقد عرفت 'ضخامتها الآن . ولشدة ما اتمنى لو استطيع أن أريها أي رجل انا . ولكنها قد

تري ، عندئذ ، يدي المتشنجة . وأياً ما كان ، فمن الافضل أن
أدعها تظن أني أكثر رجولة مما ابدو ، وهكذا
أصبح كما ظننت حقاً . وتابع تفكيره : أتمنى لو كنت انا
السّمكة . إن كل ما فيها متفوّق . أما انا فليس عندي
غير ارادتي وذاكائي .

واستند الى الحشْب ، وتحمل عذابه في صبر . وسبحت
السّمكة على نحو موصول ، وانساب القارب وتبدأ عبر
المياه الداكنة . وثار البحر ، بعض الشيء ، تحت وطأة
الرياح الهابّة من ناحية المشرق . وعند الظهر انطلقت يد
الشيخ المتشنجة من عقالها .

- « هو ذا نبأ لا يسرك ، ايّها السّمكة ! » قال
ذلك وعدّل وضع الحيط فوق الأكياس التي تغطي ظهره .
واستشعر شيئاً من الراحة ، ولكن الألم كان يُلحّ
عليه ، برغم أنه لم يسلم بوجود ذلك الألم على الاطلاق .
وقال :

« أنا لست تقيّاً ، ولكني خليق بأن أتلو « أبانا »
و« السلام عليك يا مريم » اذا وفقت الى اقتناص هذه السّمكة .
بل إني لأقسم لأحجّن الى مزار العذراء اذا ما اصطدتها .
ذلك نذر عليّ . »

وشرع يتلو صلواته على نحو آليّ . وفي بعض الفترات
كان التعب يرهقه الى درجة تنسيه كلماتها ، فهو يتلوها
في سرعة لكي تنطلق ميكانيكياً . وبينه وبين نفسه قال :

إن « السلام عليك يا مريم » أيسر من « أبانا » وأسهل .
- « السلام عليك يا مريم ، يا ممتلئة نعمة . الرب معك . مباركة انت بين النساء ، ومباركة هي ثمرة بطنك يسوع المسيح . ايتها القديسة مريم ، يا أم الله ، صلي من أجلنا نحن الحاطين ، الآن ، وفي ساعة موتنا ، آمين ! » ثم أضاف : « ايتها العذراء المباركة ، صلي من أجل موت هذه السمكة ، على الرغم من أنها سمكة رائعة ! » حتى إذا أتم صلواته استشعر أنه أنشط من ذي قبل . بيد أن الألم ظل على حدته تماماً ، بل لعله انتهى الى ان يكون اشد مضاضة . وانحنى على خشب القيدوم وأنشأ بجرك أصابع يده اليسرى .

وكانت الشمس لاهبة الآن على الرغم من ان النسيم اخذ يهب في رفق .

وقال الشيخ :

« من الافضل ان اجدد أطعام ذلك الحيط القصير الذي في مؤخر القارب . واذا اعتزمت السمكة ان تمكث ليلة أخرى فسوف اكون مضطراً الى أن آكل مرة ثانية . والى هذا فيجب ان لا أنسى أن زجاجة الماء لم يبق فيها غير ثلاثة ضئيلة . ولست اظن ان في مستطاعي ان افوز ههنا بشيء غير بعض الدلافين . ولكن اذا اكلت لحمه طازجاً جداً فقد لا يصعب علي ان أسيفه . وكم أنني لو ان سمكة طائرة حطت في القارب هذه الليلة . ولكن ليس

عندي ايّ ضوء حتى اجتذبتها . ان السمك الطائر شهبي جداً
اذا أكل نبتاً . ولن اكون مضطراً الى تقطيعه . يجب
أن ادخر كامل قوتي الآن . يا شهبي ، أنا ما كنت أعلم
أنها كبيرة الى هذا الحد !

ثم أردف :

« ومع ذلك ، فسوف أصرعها ، بعظمتها كلها ، ومجدها

كله ! »

وفكر : على الرغم من ان هذا ليس بعدل . ولكنني
اريد ان أربها ايّ شيء يستطيع ان يعمله الانسان وأيّ
مشقة يستطيع أن يحتمل .

وقال :

« لقد قلت للغلام إنني عجوز غريب . وها قد حانت

الساعة التي يتعين عليّ ان أثبت فيها صدق قولي . »

لكأن إثباته ذلك الف مرة من قبل لا يعني شيئاً بالنسبة

اليه . وها هو ذا يقيم الدليل على صدق قائلته ككرة أخرى .

كانت كل مغامرة من مغامراته جديدة بالكلية ، وما كان

ليفكر يوماً بالماضي ، فبما هو منهمك في عمله .

وبينه وبين نفسه قال : ليتها تنام ، وعندئذ استطيع

انا ان أنام وأرى الأسود في الحلم . لم كانت الأسود

هي الشيء الرئيسي الذي بقي له ؟ وهنا قال لنفسه : لا

تفكّر ، ايها الرجل العجوز . استرح الآن على الحشيش ،

ولا تفكر بشيء . إن السمكة تعمل ناشطة . فاعمل أنت

أقلّ ما تستطيع .

وتقضت الظهيرة ، والقارب لا يزال يتقدم في أناة
واطراد . ولكن النسيم المشرقي أخذ يُسهم ، الآن ،
في دفع القارب . وهكذا حمل الشيخ ، في رفق ، على
متن الامواج . وغدا الألم الذي اثاره الحبل في ظهره
أخف وطأً وأدنى الى الاحتمال .

وعند الأصيل عاد الحيط يرتفع كرة أخرى . ولكن
السكة واصلت مسيرها على عمق أقلّ بعض الشيء .
وكانت الشمس تلقي أشعتها فوق كتف الشيخ وذراعه
اليسرى وظهره . ومن هنا استنتج ان السكة قد اتجهت
نحو الشمال الشرقي .

أما وقد رأى السكة مرةً فقد صار في وسعه أن
يتمثل السيف ساجماً في الماء بزعانفه الحمراء الداكنة ،
المنشورة كالأجنحة ، وبذيله الأفقي الضخم يشقّ حجاب
الظلماء . وقال الشيخ بينه وبين نفسه : ليت شعري الى
اي مدى يستطيع ان يُبصر في تلك الاعماق ؟ ان عينه
هائلة ، وفي استطاعة الفرس ان يرى سبيله في الظلام بعين
أصفر بكثير . ولقد أتى عليّ حين من الدهر كنت
أبصر خلاله جيداً في الظلام . لست أعني في الظلام المطلق .
ولكن كما ترى الهرة تقريباً .

وكانت الشمس وتحريكه اصابع يده اليسرى تحريكاً
موصولاً قد أذهبها عنها التشنج نهائياً . وهكذا صار في

ميسوره أن يعهد اليها في نصيب من العمل أكبر . ثم انه
رفع عضلات ظهره ليزيح الوزر الذي أنقضه ، بعض
الشيء .

وقال في صوت عالٍ :

« اذا كنتِ لما تعبي بعدُ ، أيتها السمكة ، فلا
بدّ ان تكوني عجيبة جداً ! »

وكان هو قد استشعر انه متعب كثيراً . وكان يعلم
ان الليل قد أمسى قريباً ، فحاول ان يفكر في اشياء
اخرى . لقد فكر في مباريات البيسبول الكبرى ، وفي
المباراة الجارية بين يانكيي نيويورك وأتار ديترويت .

وقال في ذات نفسه : ها قد انقضى يوم ثان لم اعرف
فيه نتائج اللعب . ولكن يجب ان اكون قوي الايمان ،
وان اكون جديراً بـ « دي ماغيو » العظيم الذي يعمل
كل شيء على الوجه الأكمل برغم الألم الذي يورثه اياه
نتوء العظم في عقبه . وسأل نفسه : ولكن ما بروز
العظم ؟ نحن لم نصّب به . أمكن ان يكون مؤلماً
كدخول شوكة ديك في عقب امرئ من الناس ؟ أنا لا
اظن ان في طاقتي ان أصاب بذلك او بفقدان احدى
عينيّ او كليهما ثم اواصل القتال كما تفعل الديكة المحاربة .
ان الرجل ليس شيئاً كبيراً اذا قيس بالطيور الضخمة
والحيوانات المفترسة . ومع ذلك فلو كان لي ان اختار
لما اخترت ان اكون غير هذا السيف السابح هناك في

اعماق البحر المظلمة .

وقال في صوت مرتفع :

« إلا اذا اقبلت الاقراش . لأنه اذا اقبلت الاقراش

فعندئذ يرحمه ويرحمي الله ! »

وفكر : هل تحب ان دي ماغيو العظيم يستطيع

ان يمكث مع احدى السمكات الكبار طوال المدة التي

سامكتها مع هذا السيف ؟ أنا واثق من انه خليق بأن

يمكث هذه المدة كلها وزيادة ما دام نضر العود ، قوياً .

والى ذلك ، فقد كان أبوه صياداً . ولكن هل سيؤلمه

نتوء العظم في عقبه كثيراً ؟

وقال في صوت مرتفع :

« لست أدري . انا لم أصب بنتوء العظم قط . »

وفيا الشمس تجنح الى الغروب تذكر ، لكي يعزز

ثقته بنفسه ، يوم لعب في احدى حانات الدار البيضاء لعبة

« اليد الحديدية » مع زنجي عظيم من « سيانقوغوس »

كان اقوى رجال المرفأ وأشدم بأساً . وكانا قد سلخا

يوماً وليلة ومرفقاهما فوق خط رسم بالطباشير على الطاولة ،

وساعداهما منتصبان ، وبداهما مشتبكتان في إحكام .

وكان كل منهما يبذل غاية جهده لكي يلوي يد الآخر

ويكرها على ان تمس الطاولة . وراحت سوق المراهنة ،

وظفق الناس يدخلون الغرفة ويغادرونها على ضوء مصابيح

الكبروسين ، وكان هو قد رنا الى ذراع الزنجي ، وبده ،

ووجهه . وتناوب المحكّمون على مراقبتها ، مرة كل
 اربع ساعات ، بعد الساعات الثماني الاولى ، لكي يكون
 في ميسورهم ان ينالوا حظهم من النوم . وتفجّر الدم من
 تحت اظافر يده وأظافر يده الزنجي ، ونظر كل منها في
 عيني الآخر ، والى يديه وساعديه . وتدفق المتراهنون
 الى الغرفة ، غادين راثنين ، وقعدوا على كراسي عالية ،
 مستندة الى الجدران ، وانشأوا يراقبون اللعبة . وكانت
 الجدران مدهونة بلون ازرق زاهٍ ، وكانت خشبية ،
 وكانت المصاييح تلقي ظلها عليها . كان ظل الزنجي هائلاً ،
 وكان يتمايل على الجدار كلما عبثت النسائم بضوء المصاييح .
 وطوال الليل ، تأرجح النصر ذات اليمين وذات الشمال .
 وقدم القوم شيئاً من خمر الروم الى الزنجي ، واشعلوا له
 السجاير . ثم إن الزنجي أفرغ بعد تناوله الشراب ، جهداً
 هائلاً فوفّق مرة الى ان يلوي يد الشيخ - الذي لم
 يكن شيخاً آنذاك ، ولكن سانتياغو البطل *El Campeon*
 - نحواً من ثلاثة إنشات . بيد ان الشيخ ما لبث أن
 اعاد يده الى الارتفاع عينه تماماً . وفي تلك اللحظة عمرت
 الثقة فؤاده ، بأنه لا بد غالب الزنجي . وعند بزوغ
 الفجر ، ساعة اصر المتراهنون على ان يعتبر الفريقان
 متساويين ، وهز المحكّمون رؤوسهم ، افرغ الشيخ كامل
 قواه ، فجأة ، واكره يد الزنجي على ان تنثني شيئاً بعد
 شيء حتى مست الحشب آخر الامر . لقد استهلّت المباراة

صباح يوم من ايام الاحد ، ثم لم تنته إلا صباح يوم
الاثنين . وكان كثير من المتراهنين قد طالبوا بأعلان
التكافؤ لاضطرارهم الى الذهاب الى المرفأ حيث ينقلون
اكياس السكر أو الى « شركة الفحم الحجري الهافانية » .
ولولا ذلك لكان كل امريء منهم خليقاً بأن يؤثر استمرار
المباراة حتى النهاية . ولكنه أنهاها ، على أية حال ، وقبل
ان يمضي أحد من الجماعة الى عمله .

وطوال فترة غير يسيرة تقضت على هذا الحادث خلع
القوم عليه لقب « البطل » . وفي الربيع أجريت مباراة
الاخذ بالنار . ولكن سوق المراهنة لم تروج ، وكسب
الشيخ الجولة في كثير من اليسر بعد ان وُفق الى تحطيم
معنوية الزنجي في المباراة الاولى . ومن ذلك الحين خاض
بضع مباريات ، ثم كف عن ذلك مرة واحدة . لقد قرر
أن في وسعه ان يهزم اي امريء هزيمة شنعاء لو شاء ،
ولكن ذلك خليق به أن يؤذي يده اليمنى ويضعف من
فعاليتها في الصيد . ولقد حاول ان يخوض بضع مباريات
تدريبية بيده اليسرى . ولكن يده اليسرى كانت خؤوناً
أبدأ . كانت تأبى الأذعان لأوامره ، وما كان ليثق بها
بجال .

وفكر قائلاً : سوف نحمّصها الشمس جيداً ، الآن .
وينبغي ان لا يعاودها التشنج ككرة أخرى ، الا اذا
أمسى الجو قارساً جداً اثناء الليل . ألا لبت شعري ،

ما الذي ستحملة اليّ هذه الليلة ؟
ومرت فوق رأسه احدى الطائرات ، وكانت في
طريقها إلى ميامي . ووقع ظلها الذعرَ في قلوب السمكات
الطائرة .

وقال :

« لا بد ان تكون ثمة دلافين مع هذه السمكات
الطائرة كلها . وجذب الحيط قليلاً ليرى ما اذا كان
يستطيع ان يكسب مقداراً منه . ولكنه لم يوفق الى
ذلك ، فكفّ عن محاولته عندما ادرك ، من قسوة
الحيط وذبذباته ، انه على وشك ان ينقطع . وتقدم
القارب على مهل . وراقب الشيخ الطائرة حتى غابت
عن البصر .

وبينه وبين نفسه قال : يجب ان يكون امتطاء الطائرة
شيئاً غريباً جداً . وبألبت شعري كيف يبدو البحر من
ذلك العلوّ الشاهق ؟ لا ريب في انهم يستطيعون ان
يروا الاسماك جيداً اذا لم يجلتقوا كثيراً في السماء . ولكم
أحب لو أطيروا ، في تودة ، على ارتفاع مثني قامة وأرى
الاسماك من علّ . ففي زوارق صيد السلاحف كنت
أقف فوق عوارض السارية ؛ وحتى على ذلك الارتفاع
كان في مكنتي أن أرى كثيراً . لقد بدت الدلافين
من هناك أشدّ خضرةً ، وكان في مستطاعك ان ترى
الجمهرة كلها وهي تسبح . لم كانت لجميع أسماك التيار المظلم

الخفيفة الحركة ظهوراً أرجوانية ؟ ولم كانت لها في معظم
الاحوال خطوط أو نقط أرجوانية ؟ إن الدلفين يبدو
أخضر لأنه ذهبي من غير شك . ولكن ما إن يلتمس
طعامه بعد ان يستبد به الجوع حتى تبرز الخطوط
الأرجوانية على جنباته مثل أسياف البحر . ترى ، ما
الذي يُطلع هذه الخطوط ؟ الغضب أم السرعة البالغة ؟
وقبيل هبوط الليل ، فيما كانا يجوزان جزيرة كبيرة
من عشب سارغاس المرتفع المتزوج وكان الاوقيانوس كان
يغازل شيئاً ما تحت غطاء أصفر ، ابتلع احد الدلفين
شص خيطه الخلفي القصير . ولقد رآه ، أول ما رآه ،
حين وثب في الهواء . كان لونه ذهبياً حقاً ، تحت اشعة
الشمس الممتضرة ، وكان ينحني ويخبط بذنبه خبطاً
ضارياً . ووثب مرةً ومرة في بهوانية ذعره . وجثم
الشيخ ، ممكاً بالحبل الكبير بيده اليمنى وذراعه ،
وارتد إلى مؤخر القارب . وبيده اليسرى جذب الدلفين
واطناً ما يكسبه من الحيط بقدمه الخافية . حتى
إذا انتهت السمكة الى مؤخر القارب مذعورةً واثبةً
متخبطةً في يأس ، انحنى الرجل العجوز ورفع السمكة
الذهبية الصقيلة ، بنقطها الأرجوانية ، الى ما فوق مؤخر
القارب . كانت تفتح فمها وتغلقه ، في تشنج ، على الشص .
وكان جسدها الطويل المسطح يضرب ألواح القارب في
حنق وغنف . ثم ان الشيخ اهوى بالهراوة على رأسها
الذهبي المتوهج ، فارتعدت ثم سكنت سكون الموت .

وانتزع الشيخ الشص من فم السمكة ، وطعم الحيط
بسمكة سردين جديدة ، والتي به في اليم . ثم اتخذ
سبيله ، وثيداً وثيداً ، الى مقدم القارب . وغسل يده
اليسرى ومسحها ببعض بنظلوته . ثم نقل الحبل الثقيل
من يده اليمنى الى يده اليسرى ، وغسل يده اليمنى في
البحر ، فيما كان يراقب الشمس تغيب في الاوقيانوس ،
وينظر الى انحراف الحبل الكبير .

وقال :

« إنها لم تتغير على الاطلاق . »

ولكنه حين استشعر جريان الماء عبر يده ادرك ان
حركة القارب قد تباطأت على نحو ملحوظ .

وقال :

« تحدثني نفسي بأن أثبتت المجذافين معاً عبر مؤخر
القارب ، وبذلك أخفف من سرعة السمكة اثناء الليل .
انها مستعدة لقضاء سهرة طويلة . وكذلك انا . »
وفكّر : من الخير ان أنتزع احشاء الدلفين بعد
قليل لكي يحفظ الدم في لحمه . سوف أنتزعها عما قليل ،
حين اثبتت المجذافين معاً تعويقاً للحركة . وبخيل إلي ان
من الافضل ان أدع السمكة وشأنها الآن فلا ازعجها
كثيراً في ساعة الغروب هذه . ان ساعة الغروب توهن
عزائم السمكات جميعاً .

وترك يده تجفّ في الهواء ، ثم تلتفت الحبل بها ،

وأراح جسده المكدود ما وسعه ذلك ، منحنيًا على الحطب . وهكذا حمل القارب مثل ما يحمله هو من ثقل الحبل المشدود ، أو أكثر .

وقال في ذات نفسه : لقد بدأت أتقن الصناعة - أو هذا الجزء منها على أية حال . ويجب ان لا أنسى ، فوق ذلك ، أنها لم تأكل شيئاً منذ ان وقعت في الشرك ، وانها ضخمة جداً ، ومحتاجة الى مقدار كبير من الغذاء . أما انا فقد اكلت 'التن' بكامله . وغداً سوف آكل الدلفين . ولعله يتعين عليّ أن آكل جزءاً منه وانا أنتزع أمعائه وأنظفه . وسوف يكون مضغه أصعب من مضغ لحم التن . ولكن ليس ثمة ما هو يسير ، الآن .
وسألها في صوت عالٍ :

« كيف أنتِ ، ايتها السمكة ؟ أنا أستشعر النشاط . ويدي اليسرى أحسن من ذي قبل . وعندى من الطعام ما يكفيني هذه الليلة ونهار غد . إسجبي القارب ، ايتها السمكة ، إسجبي ! »

وفي الحَقّ أنه لم يكن في حال حسنة كما زعم ، لأن الألم الذي أنزله الحيط الغليظ بظهره كاد يتعدى تخوم الألم لينتهي الى خَدْرٍ كان موضع ارتياحه . وقال في ذات نفسه : - ولكنني عانيتُ ما هو اسوأ من هذا . إن يدي اليمنى مجروحة جرحاً بسيطاً ، ولقد تخرّزت يدي الاخرى من التشنج . أما رجلاي فلم يصبها اذى ما .

وفوق هذا كله ، فقد تمّ لي التفوق على السمكة - بعد ما
ادخرته من غذاء في ميدان التجلد والاحتمال .

وجلبب الظلام الكون . ففي ايلول يهبط الليل بعد
غروب الشمس مباشرة . واستند الشيخ الى القيدوم
البالي ، واستراح ما وسعه ان يستريح . وبرزت طلائع
النجوم . ولم يكن يعرف اسم « رجل الجبار » *
ولكنه رآه ، وادرك ان جميع أصدقائه الأبعدين سوف
ينتثرون وشيكاً في أجواز السماء .

وقال في صوت عال :

« والسمكة صديقتي أيضاً . أنا لم أر ولم اسمع بسمكة
مثل هذه من قبل . ولكنني مضطر الى أن اقتلها . كم
انا سعيد لعدم اضطرارنا الى ان نقتل النجوم ! »
وبينه وبين نفسه قال : تخيّل لو كان على الانسان
ان ينطلق كل يوم لقتال القمر ! لا شك في ان القمر
خليق في هذه الحال بأن يطلق ساقيه للريح . ولكن
تخيّل لو تعين على الانسان ان ينطلق كل يوم لقتال
الشمس ؟ وفكّر : نحن مخلوقات محظوظة ، من
غير ريب .

ثم أخذه الحزن على السمكة الكبيرة حين خطر له أن
ليس عندها ما تأكله . ولكن تصميه على قتلها لم يضعف

* Rigel أو Beta Orionis نجم ضارب الى الزرقة في برج أوريون (أو
الجبار) . [المغرب]

نتيجة لحزنه ذلك على الاطلاق . وفكر : كم رجلاً
سوف يعتدي من لحمها ؟ ولكن هل هم جديرون بأن
يأكلوا لحمها ؟ لا ، طبعاً لا . ليس ثمة من هو جدير بأن
يأكل هذه السمكة بعد الذي تكشفت عنه من شجاعة
وجلال .

وقال في ذات نفسه : أنا لا أفهم هذه الاشياء .
ولكن من حسن الطالع أننا غير مضطرين الى ان نطاردهم
الشمس أو القمر أو النجوم . حسبنا أن نعيش على البحر
وان نطاردهم إخوتنا الحقيقيين .

وفكر : والآن يتعين عليّ أن انظر في مسألة تعويق
حركة القارب . إن لها مخاطرها وحسناتها . ذلك اني اذا
ثبتتُ المجدافين فقد اخسر جزءاً كبيراً من الحيط الى
درجة تعرض السمكة للضياع ، اذا ما خطر لها أن تفرغ
قوتها كلها في الجذب وفقد القارب خفته . صحيح ان
خفة القارب 'تطيل آلامي وآلامها ، ولكنها مناط سلامتي
لأن السمكة لما تنطلق بعد بأقصى سرعتها . وأياً ما كان
فينبغي أن أنتزع احشاء الدلفين حتى لا يفسد ، وأن
أكل شيئاً منه لكي أظل قوياً .

والآن سأستريح ساعة اخرى ثم أتأكد من ان السمكة
هادئة مطردة الخطى ، قبل ان أنقلب الى مؤخر القارب
لأقوم بعملتي وأحزم امري . وفي اثناء ذلك يكون في
استطاعتي ان اراقب مسلكها وما قد يطرأ عليها من

تطورات . إن فكرة المجدافين هذه بارعة . ولكننا انتهينا
الآن الى مرحلة تقضي كثيراً من الانتباه والحذر ! فهذا
السيف لا يزال سمكةً سوية لها ما لسائر الاسماك الكبيرة
من قوة وجبروت . ولقد رأيت الشصّ في زاوية فمه
وقد اطبق فمه إطباقاً محكماً . ولكن بلاء الشصّ ليس
شيئاً . البلاء الحقيقي هو الجوع ، وكونه يقاتل ضد شيء
لا يفهمه . فاسترح الآن ، ايها الرجل العجوز ، ودعه
يعمل حتى يحين دورك في العمل .

واستراح ساعتين - أو ذلك ما بدا له . واذ لم يطلع
القمر إلا في ساعة متأخرة فقد عدم الوسيلة لمعرفة الوقت .
ثم إن الراحة التي نعمَ بها لم تكن في الواقع غير راحة
نسبية . كان لا يزال يحمل ثقل السمكة على منكبيه ،
ولكنه وضع يده اليسرى على حافة القيدوم ، مسنداً الى
القارب نفسه جزءاً متعاضماً من مهمة المقاومة .

وفكر : كم كان الامر خليقاً بأن يكون أسهل لو
استطعت ان اشد الحيط الى شيء ما . ولكن السمكة
قيمة ، عندئذ ، بأن تقطعه بنترة صغيرة واحدة . يجب
أن أتخذ من جسدي وسادة تخفف من وطأة الضغط ،
وان اكون مستعداً ، في كل لحظة ، لأن أرخي الحيط
للسمكة ، بيديّ الاثنتين .

وقال في صوت مرتفع :

« ولكنك لم تم بعد ، ايها الرجل العجوز . لقد سلخت

نصف نهار و ليلةً بكاملها وها انت تضيف الى ذلك نهاراً
جديداً و عيناك لم تعرفا الغمض لحظةً واحدة ! يجب ان
تستنبط وسيلة تمكنك من ان تنام بعض الشيء اذا ظل
السيف يجرّك مثل هذا الجرّ الهادي . لأنك إن لم تم فقد
يزايل الصفاء رأسك .

و فكرت : إن رأيت صافٍ . بل إنه صافٍ اكثر بما
ينبغي . أنا في مثل صفاء النجوم التي هي إخوتي . ومع
ذلك فيجب أن أنام . إن النجوم تنام . والقمر والشمس
ينامان . وحتى المحيط ينام احياناً في بعض الايام التي لا
تيار فيها والتي يربن فيها الهدوء على وجه الماء .

وقال في ذات نفسه : ولكن لا تنس ان عليك ان
تنام . أجبر نفسك على ذلك وابتدع وسيلة صغيرة
مضمونة تقي الحيوط شرّ المفاجآت . والآن ، إرتد الى
الوراء و أعدّ الدلفين . إنه ليس من الحكمة ان تثبت
القارب بالمجذافين اذا كنت مضطراً الى الرقاد .

وخطب نفسه قائلاً : في استطاعتي أن استغني عن
النوم . ولكن ذلك صنيعٌ بالغ الخطورة .

وشرع ينكفيء الى مؤخر القارب على يديه وركبتيه ،
محاذراً ان يجذب الحيط بأي حال . وقال بينه وبين
نفسه : جائز ان يكون هذا السيف هو نفسه نصف نائم .
ولكن هذا ليس من شأنني . انا أريد ان يجلب التعب
بساحته . يجب ان يجذب الحيط حتى يموت !

واذ انتهى الى مؤخر القارب ، استدار ممسكاً الحبل
بيده اليسرى ، على حين استلّ مديته من عندها بيده
اليمنى . كانت النجوم متألقة ، وكان في ميسوره ان يرى
الدلفين في وضوح . وغيب سفرة المديّة في رأسه وجذبه
نحوه . ثم انه وضع احدى قدميه على الدلفين ، وشقه في
خفة من ادنى بطنه الى اعلى فكه الأسفل . ثم وضع
مديته جانباً وراح ينتزع أحشاء الدلفين بيده اليمنى ،
مفرغاً جوفه وخياشيمه . وكان الكرش ثقيلاً زلقاً بين
يديه . وفتحهُ فاذا فيه سمكتان طائرتان . كانتا طازجتين
مكتنزتين . فوضع احدهما الى جانب الاخرى وقذف
بالنفاية في الماء ، فغاصت مخلقة وراءها خطأ فوسفوري
التوهج . وكان الدلفين بارداً . واذا انطرح هناك ،
تحت اشعة النجوم ، فقد بدا الآن أجدم شديد الشحوب .
وسلخ الشبخ الجلد عن جانب من الدلفين واطناً رأسه
بقدمه اليمنى . ثم قلبه وسلخ الجلد عن الجانب الآخر .
وانتزع لحمه من الرأس حتى الذنب .

ثم انه طرح الهيكل في عرض البحر ، ونظر ليرى ما اذا
كان ثمة درادير في الماء . بيد انه لم يجد شيئاً غير انحدار
متباطيء مضيء . فاستدار ووضع السمكتين الطائرتين في
داخل قدي اللحم اللتين سلخهما من الدلفين ، وأغمد مديته
واتخذ سبيله في بطنه الى مقدم القارب . كان ظهره
محدودباً تحت ثقل الحيط ، وكان يحمل لحم الدلفين بيده

اليمنى .

وحين بلغ مقدم القارب نشر قذتي اللحم على الحشب ،
ووضع السمكتين الطائرتين الى جانبيهما ، ثم ركز الجبل
فوق ناحية اخرى من كتفيه ، بمسكاً به باليد اليسرى ،
مستنداً الى حافة القارب . وبعد ذلك انحنى ليغسل
السمكتين الطائرتين بالماء ، وليقدر سرعة المياه وهي
تندفع عبر يده . وكانت يده تتألق بضياء فوسفوري
بسبب من ارتفاعه جلد الدلفين بها ، فراح يراقب تدفق
الماء حوالها .

كان البحر اكثر هدوءاً . وحين حك راحة يده
بالواح القارب تناثرت منها ذرات من الفوسفور وارتدت
في قوذة نحو مؤخر الزورق .

وقال الرجل المعجوز :

« هي إما متعبة أو مخلدة الى السكينة . والآن دعني
أمضي في التهام هذا الدلفين ، وأنعم بشيء من الراحة وقليل
من النوم . »

وتحت النجوم ، وفي ظمرة من الليل الآخذ برده في
الاستعداد شيئاً بعد شيء ، أكل نصف قدة من لحم الدلفين
واحدى السمكتين الطائرتين بعد أن اطرح احشاءها واقتطع
رأسها .

وقال :

« ما أسهى الدلفين حين يؤكل مطبوخاً ! وما أتعسه

من سمكة حين يكون نيئاً ! أنا لن انطلق في قارب ،
بعد اليوم ، من غير ان اصطحب شيئاً من الملح أو الليبون
الحامض . »

وقال في ذات نفسه : لو كان في رأسي دماغ لسفحت
الماء ، طول النهار ، على مقدم القارب . جتي اذا جف
كان في ميسوري ان أفوز بشيء من الملح . ولكني ما
كنتُ خليقاً ، في مثل هذه الحال ، بأن أوقع الدلفين في
الشرك إلا مع غروب الشمس . ومهما يكن ، فلا ريب
في أن ذلك دليل على إهمالي . ولكنني مضغت اللحم كله
جيداً ولم استشعر شيئاً من الغثيان .

وتلبدت السحب في ناحية المشرق ، حاجبةً النجوم التي
يعرفها الشيخ واحداً إثر واحد . لقد بدا وكأنه يمضي في
وادي من الغيوم سحيق . وسكنت الرياح .
وقال الشيخ :

« سوف تسوء الاحوال الجوية بعد ثلاثة ايام او اربعة .
ولكن ليس الليلة ولا غداً . فما عليك ، ايها الرجل العجوز ،
الا أن تستعد لشيء من الرقاد ما دامت السمكة هادئة
مطرده السير . »

وأطبق يده اليمنى على الحيط إطباقاً محكماً . ووظف
بفخذه على تلك اليد ، فيما كان ينحني بثقله كله على خشب
القيدوم . ثم خفض الحبل فوق كتفيه خفضاً جزئياً وأوثقه
تحت يده اليسرى .

وفكر قائلاً : في استطاعة يدي اليمنى ان تقاوم في
بسالة ما دام الحيط موثقاً على هذا النحو . ولو قد تراخت
اثناء النوم فعندئذ توقظني يدي اليسرى حالما يولي الحيط
فراراً . ولا ريب في ان هذا العبء سوف يكون
ثقيلاً على يدي اليمنى . ولكن ، لا بأس ، فقد شهدت
في أيامها ضروباً من البلاء . وحتى لو نمت نصف ساعة أو
عشرين دقيقة إذن لأفادني ذلك بعض الشيء . وانحنى
الى امام لكي يقاوم بجسده كله ثقل الحيط . وإذا
تركزت قوته برمتها في يده اليمنى استسلم للرقاد .

ولم يرَ الأسود في ما يراه النائم هذه المرة . لقد رأى
رتلاً ضخماً من خنازير البحر يبلغ طوله ثمانية اميال او عشرة .
وكان ذلك في موسم التناسل ، فهي تثب عالياً
في الهواء ثم ترتد الى الحُفْر نفسها التي احدثتها في الماء
عند انطلاقها منه .

ثم رأى في المنام انه مضطجع في فراشه في القرية .
وهبت ريحٌ شمالية ، وعصف به البرد القارس . وكانت
ذراعه اليمنى قائمة ، لان رأسه استقر فوقها بدلاً من ان
يستقر فوق وسادة ما .

وبعد ذلك أنشأ يحلم بالشاطيء الاصفى الطويل ، فرأى
طليعة الأسود يهبط نحو البحر في غبشة الغسق ، يتبعه
سائرهما على الاثر . وراح الشيخ ذقنه على خشب القيدوم
وظفق يتأمل . لقد اقامت سفينته توازنها بأن ألق

مراسيها . وهبت نسائم المساء من الشاطيء . تُتْرَى ، هل
ستقد اسودت اخرى ؟ وغمرت الشيخ السعادة .
وكان القمر قد طلع منذ فترة غير قصيرة ، ولكن
الشيخ استرسل في رقاده . وواصل السمكة جذبها في
اطراد ، وشق الزورق طريقه في نفق من الغيوم .
وفجأة انتفضت يده اليمنى فلطمت وجهه . كان الحبل
قد ألهب يده اليمنى إلهاباً ، وكانت يده اليسرى خدرة لا
حس فيها . وكبح الحيط بيده اليمنى ، أقصى ما يستطيع
الكبح ، ولكن الحيط اندفع هارباً . واخيراً عثرت
يده اليسرى على الحيط ، وارتدت إلى الوراء ضاغطاً على
الحيط بظهره ، فاذا بالحيط يحرق ظهره ويده اليسرى ،
واذا بيده اليسرى تنهض الآن بالعبء كله فيحتزها الحبل
ويدميها . والتفت الشيخ ليلقي نظرة على لفائف الحبوط ،
فألغاها تكرر على رسلها . وفي تلك اللحظة وثب السيف
محدثاً انفجاراً هائلاً في مياه المحيط ثم هوى في ثقل .
وما هي الا فترة حتى عاود الوثوب مرةً ومرةً ، وانطلق
الزورق في سرعة برغم طول الحبل المرخي له ، وبرغم ان
الشيخ انشأ يجذب الحيط ويجذبه في ضراوة ، حتى نقطة
الانقصاص . وكان من نتائج هذا الصراع ان طرح الشيخ
فوق مقدم القارب ، وارتطم انفه بلحم الدلفين ، فبات
لا يطيق حراكاً .
وفكر قائلاً : ذلك ما كنا ننتظره . واذن فلا محل

لشكوى .

وبينه وبين نفسه قال : إحملته على دفع ثمن هذه
الحيوط كلها . إحمله على دفع ثمنها ! «
ولم يكن في ميسوره ان يرى السمكة وهي تثب .
بيد انه كان يسمع تفجّر المحيط عند انطلاقها وطشيش الماء
عند سقوطها . وكان الحيط يكرّ في سرعة فيحترّ يديه
ويلهبها ، ولكنه ما كان يتوقع شيئاً غير ذلك . وحاول
ان يصطنع الاجزاء الصفيقة من يديه ، محاذراً ان يمسّ
الحيط باطن كفيه او ينزلق بين اصابعه .

وقال في ذات نفسه : لو كان الغلام هنا اذن لبلّ
الحيوط . أجل ، لو كان الغلام هنا ! لو كان الغلام هنا !
وكرّ الحيط ، وكرّ ، وكرّ ، ولكنه شرع يتباطأ الآن .
وأكره الشيخ السمكة على ان تدفع غالياً ثمن كل انش
منه . ورفع رأسه عن مقدّم القارب ، وأزال عن وجهه
لحم الدلفين الذي سحقه خده ، ثم نهض على ركبتيه
واستوى قائماً في اناة . كان يرخي الحيط على نحو موصول
ولكنه آخذ في التباطؤ شيئاً بعد شيء . وانكفاً الى حيث
يستطيع ان يلمس بقدميه لفائف الحبوط التي عجز عن
رؤيتها . كان لا يزال ثمة مقدار وافر من الحبوط ،
وكان على السمكة الآن ان تحتل ثقل هذه الحبال
الاضافية .

وقال في ذات نفسه : أجل . لقد وثب السيف اكثر

من اثنتي عشرة مرة ، حتى الآن ، وملاً الجيوب المرصوفة
على طول ظهره بالهواء ، فليس في استطاعته أن يغوص
ليموت في اعماق البحر حيث أعجز عن إخراجِه . إنه سوف
يبدأ وشيكاً في التحويم ، وعندئذ يجيء دوري في سوقه
الى المكان الذي اشاء . ترى ما الذي أثاره على هذا
النحو الفجائي ؟ أليكون الجوع قد اوقع اليأس في فؤاده ، أم لعل
شيئاً ما قد روعه في الظلام ؟ ومن يدري ، لعل الخوف
ساوره فجأة . ولكنه كان من قبل هادئاً مكيناً ،
ولقد بدا بالغ الجراءة عظيم الثقة بالنفس . ذلك امر عجيب .
وقال :

« من الخير ان تكون انت ، ايها الرجل العجوز ،
جريئاً واثقاً من نفسك . لقد امسكت بزمامه من جديد
ولكنك لا تستطيع ان تسترد ما فقدته من خيوط .
وعلى اية حال ، فلا ريب في انه سوف يحوم عمّا قليل . »
واخذ الشيخ بقياد السمكة ، بكل من يده اليسرى
ومنكبّيه . ثم انحنى وغرف شيئاً من الماء بيده اليمنى
لكي يزيل لحم الدلفين المسحوق عن وجهه . لقد كان
يخشى أن تصيبه رائحة ذلك اللحم بالفشيان ، وعندئذ يقبض
ويفقد قوته . حتى اذا نظف وجهه وضع يده في الماء
المالح ، وتركها هناك برهة ، وانشأ يراقب طلائع الضوء
الوافدة بين يدي الشروق . وفكر قائلاً : إنه يتجه
الآن نحو الشرق تقريباً . وهذا يعني أنه متعب وانه

يجري مع التيار . ولن ينقضي طويل وقت حتى بشرع
في الدوران . وعندئذ يبدأ عملنا الحقيقي !
وبعد أن قدر ان يده اليمنى لبثت في الماء مدة
كافية اخرجها ونظر اليها .
وقال :

« إنها في حال لا بأس بها . وليس الألم مما يبالي به
الرجال . »

وأمسك بالحيط في احتراس كي لا ينزلق في اي من
جراحاته الجديدة ، وأزاح حمله بحيث يتمكن من ان
يضع يده اليسرى في الماء ، من جانب القارب الآخر .
وقال مخاطباً يده اليسرى :

« انت لم تحملي هذا البلاء كله من اجل شيء لا غناء
فيه . ولكن لقد غبرت لحظة تفقدتك فيها فلم أجذك ! »
وفكر : لم لم أولد بيدين قويتين ؟ لعل الذنب ذنبي
لاني لم امرن تلك اليد الواهنة تمريناً كافياً . ولكن الله
يشهد ان مجالات التعلم كانت رحبة امامها . وعلى اية
حال ، فلقد أبليت بلاء حسناً ، هذه الليلة . وهي لم يصبها
التشنج إلا مرة واحدة . واذا ما تشنجت مرة اخرى
فلسوف ادع الحيط بجزءها من غير ان أبدي حراكاً .

وحين خطر له ذلك أدرك أنه لم يعد صافي الرأس ،
وأن عليه ان يمضغ مزيداً من لحم الدلفين . ولكنني لا
أستطيع - كذلك قال في ذات نفسه . فلأن تستشعر

وكان الدوار يعصف برأسك خير من أن تنفد قوتك
بالغثيان . وأنا ادري اني لن اقدر على ابتلاع هذا اللحم
بعد أن امتزج به وجهي . من اجل ذلك سأحتفظ به
للطواريء ، حتى يصيبه الفساد . ولكن لقد فاتني القطار
الآن ، فانا لا استطيع ان اعوض قواي من طريق
الطعام . انت احمق - كذلك قال بينه وبين نفسه . كل
السمة الطائرة الاخرى .

كانت هناك منظفة جاهزة . فتناولها بيده اليسرى واكلها
ماضغاً العظم في احتراس ، ملتهمماً كل ما فيها ، من الرأس
إلى الذنب .

وفكر : إنها احفل بالغذاء من سائر الاسماك تقريباً .
الغذاء الذي أحتاج اليه انا ، على الاقل . والآن ، لقد
عملت الذي استطيعه . فليبدأ في دورانه ، ولنفتتح المعركة !
واشرقت الشمس على الشيخ وعلى قاربه للمرة الثالثة
عندما اخذ السيف في التحويم .

ولم يستطع ان يستدل من انحراف الحيط ان السمكة
تحوّم . فقد كان مثل ذلك الاستدلال سابقاً لاوانه في
تلك اللحظة . كل ما أحس به تراخ طفيف في ضغط الحيط ،
فأنشأ يجذبه في رفق بيده اليمنى . وتوتر الحيط ، كعبد
من قبل ، ولكنه ما إن كاد يبلغ نقطة الانقصاص حتى
غدا سلساً سهل القيادة . وأزل الشيخ الحبل فوق كتفيه
ورأسه ، وطلق بشده في تودة واطراد . كان يصطنع كلتا

يديه ، في حركة متأرجحة ذات اليمين وذات الشمال ، محاولاً
ان يحتمل جسده وقدميه اكبر قسط ممكن من مهمة الجذب .
واتبعت رجلاه الهرمتان وكتفاه الباليتان حركة يديه المتأرجحة .
وقال :

« إنها دورة ضخمة جداً . ولكنه يدور . »

وهنا ابى الحيط ان ينقاد ، فأطبق الشيخ يده عليه في
إحكام حتى لقد رأى قطرات الماء تتوالب منه تحت أشعة
الشمس . ثم اخذ الحيط يكرّ ، فركع الشيخ آسفاً ،
وتركه يغوص في المياه المظلمة .
وقال :

« هو ذا في اوج دورانه الان . »

ثم فكر : ينبغي ان اتثبت بالحيط ما استطعت .
فلا ريب في ان الاجهاد سوف يضيّق نطاق دورانه مرة
بعد مرة . ولعلي ان اوفّق بعد ساعة الى رؤيته . يجب
ان انتصر عليه الان ، وبعد ذلك يتعين عليّ ان اقله .
ولكن السمكة اقامت على التحويم ، في اناة . وبعد
ساعتين تندى جسد الشيخ كله بالعرق ، ونفذ الاعياء الى
عظامه . ولكن دورات السمكة تقاصرت تقاصراً كبيراً ،
ومن كيفية ميلان الحيط ادرك الشيخ انها ترتفع باطراد
فيما هي تسبح .

وطوال ساعة ، تراقصت البقع السود امام ناظري
الشيخ . واحرق العرق المالح عينيه واحرق الجرح الذي

فوق عينه وعلى جبهته . ولم يجزع للبقع السود . فقد كانت
ظاهرة سوية اذا 'نظر اليها على ضوء الجهد العظيم الذي انفقه
في جذب الحيط . واياً ما كان ، فقد استشعر مرتين
'دواراً ووسك إغماء ، وذلك ما اقلقه حقاً .

وقال :

« لم يكن في وسعي ان أخذل نفسي وأموت وأنا
اصطاد سمكة مثل هذه . اما وقد 'وفقت الى ان اقودها
على هذا النحو البارع فساعدني ، يا إلهي ، وأمدني
بالقوة على الاحتمال . إني اعدُ بأن اتلو صلاتي 'ابانا »
و « السلام عليك يا مريم » مئة مرة . ولكنني لا استطيع
ان افعل ذلك الآن ! »

وفكر : 'إعتبر' إنها تليت . سوف اتلوها في ما بعد !
وفجأة انتفض الحيط ، وكان يمسك به بيديه الاثنتين ،
انتفاضة هائلة - انتفاضة حادة ، قاسية ثقيلة .

وفكر الشيخ : إن السمكة تطعن قاعدة الصنارة
برمحها . لقد كان ذلك امرأ محتوماً . فليس في وسعها ان
تفعل غير ذلك . وقد يضطرها هذا الى الوثوب . ولو
كان لي ان اختار ، اذن لآثرت لو واصلت دورانها .
إنها مكرهة على الوثوب لكي تنشق الهواء . ولكن كل
وثبة من وثباتها خليفة بأن توسع الجرح الذي احدثه
الشص في فكها . وقد ينتهي ذلك بها الى اطراح الشص
والنجاة بنفسها .

وقال :

« لا تشبي ، ايتها السمكة ، لا تشبي ! »
وطعنت السمكة المعدن عدة مرات اخرى . وكان
الشيخ يرخي الحبل للسمكة كلما هزت رأسها .
وقال في ذات نفسه : يجب ان أوقف ألمها حيث هو .
اما ألمي انا فلست ابالي به . في استطاعتي ان اسيطر على
اوجاعي . اما اوجاعها ، فقد تفقدتها صوابها .

وبعد برهة كفت السمكة عن ضرب معدن الصنارة ،
واستأنفت الطواف ، في تودة . وراح الشيخ يسترجع
الحيط على نحو موصول . ولكنه استشعر انه على وشك
الانغناء ، كرة اخرى . ورفع شيئاً من ماء البحر بيده
اليسرى ونضح به رأسه ، ثم رفع مقداراً آخر ونضح رأسه
كرة ثانية وفرك مؤخر عنقه .
وقال :

« لست أشكو التشنج . سوف ترتفع السمكة عما قليل ،
وفي استطاعتي أن أثبت . إن من واجبك ان تثبت . فلا
تتحدث عن ذلك ولو مجرد حديث . »

وانحنى مستنداً الى مقدم الزورق ، وأزل الحيط
فوق ظهره كرة اخرى . وقال في ذات نفسه : سوف
استريح الآن ريثما 'تم' دورتها ، ثم أنهض حين ترجع
ثانيةً وأستأنف نشاطي .

كان كل شيء يغريه بأن يستريح عند مقدم الزورق

وبدء السمكة 'تم دورتها من غير ان يسترجع شيئاً من الحيط . ولكن ما إن اظهر التوتّر ان السمكة قد اتجهت نحو الزورق حتى هب الشيخ العجوز على قدميه ، واستأنف التارجح والتايل والجذب لكي يحتفظ بكل ما كسبه من الحيط .

وفكرت : انا اشدّ تعباً مما كنت في ايما وقت مضى . وما هي ذي الريح التجارية تهب . ولكن هذه سوف تعينني على السمكة . انا في امس الحاجة إلى شيء من الهواء المنعش .
وقال :

« سوف استريح حتى الجولة الثانية ريثما تقوم بدورتها . ولقد اخذ النشاط يعاودني . وما هي الا دورتان او ثلاث حتى أظهر عليها . »

وكانت قبعته المصنوعة من القش قد دُفعت الى مؤخر رأسه دفعاً بعيداً . واستهلت السمكة دورة جديدة . وتوتر الحيط ككرة اخرى ، فخرّ الشيخ على مقدم القارب . وفكر قائلاً : هذا دورك في العمل يا عزيزتي . ولكنني سوف اقصي عليك حين تنعطفين .

وكانت مياه البحر قد ارتفعت ارتفاعاً بالغاً . ولكنها كانت احدى نسائم الجو الجميل . وكان هو في حاجة اليها من أجل العودة إلى هافانا .
وقال :

« سوف ادير الدفة في اتجاه الجنوب والغرب . إن

المرء لا يضلّ سبيله في البحر ابدأ . وكوبا على كل حال
جزيرة طويلة . »

وعند الدورة الثالثة ابصر الشيخ سمكته آخر الامر .
لقد رآها ، اول ما رآها ، مثل ظل اسود استغرق
مروره تحت القارب فترة طويلة من الوقت جعل الشيخ
لا يصدق انها على هذا الطول كله .
وقال :

« لا . إنها لا يمكن ان تكون ضخمة الى
هذا الحد . »

ولكنها كانت ضخمة الى ذلك الحد . وحين أتمت
دورتها الثالثة تلك ، وانبتقت بكاملها ممتدة على مسافة
ثلاثين ياردة ، ابصر الشيخ ذنبها خارجاً من الماء . كان
أعلى من شفرة منجل كبير ، وكان لونه أزرق شديد
الشحوب فوق زرقة الماء الداكنة . وفجأة اختفى الذنب .
وفيما كانت السمكة تسبح تحت سطح البحر مباشرة صار في
استطاعة الشيخ ان يرى الى حجمها الضخم والى العصاب
الارجوانية التي تطوّق جسدها . كانت زعنفتها الظهرية
ملوية ، وكانت زعانفها الصدرية منشورة على مداها .

وفي تلك الدورة استطاع الشيخ ان يرى عين السيف ،
والسُمَيْكَتَيْنِ الرماديتين السابجتين حوله . كانتا تلتصقان احياناً
بالسيف ، وتفصلان احياناً عنه . وكانتا احياناً أخرى
تسبحان في ظله آمنتين مطمئنتين . وكان طول كلّ منها

يعدو ثلاثة أقدام . وكانت سبحاتها السريعة تذكّر بحركة
الأنقليس المثنّية .

كان الشيخ يتصبّب عرقاً ، ولكنّ بسبب من شيء
آخر غير الشمس . ومع كل دورة من دورات السمكة
الهادئة المسالمة ، كان الشيخ يسترجع جزءاً من الحيط ،
وقد بات على مثل اليقين من أنه سوف يكون في ميسوره
أن يطعنها بالحربون بعد دورتين اثنتين .

وبينه وبين نفسه قال : ولكن يجب أن أستاقها الى
مكان قريب - قريب جداً . وينبغي ان لا أستهدف
الرأس . القلب هو الذي يجب عليّ ان أستهدفه .
وقال :

« كن هادئاً وقويّاً ، ايها الرجل العجوز ! »

وفي الدورة التالية برز ظهر السمكة من تحت الماء ،
ولكنه كان بعيداً عن الزورق بعداً غير يسير . وفي
الدورة التي عقبها كان لا يزال على مثل ذلك البعد ولكنه
كان اكثر ارتفاعاً فوق سطح الماء . وايقن الشيخ بأنه اذا
استرد مقداراً اضافياً من الحيط فعندئذ يوفق الى ان يقود
السيف حتى حافة الزورق .

وكان قد اعدّ الحربون منذ فترة طويلة ، وكان حبله
الرقيق ملتفاً في سلة مدوّرة ، وقد شدّ اقصاه الى الوتد
القائم في مقدّم القارب .

وفي تلوذة اتمت السمكة دورتها . كانت فاتنة حقاً ،

وكان ذنبها هو وحده الذي يتحرك . وجذب الشيخ الحيط بأقصى ما يستطيع ان يجذبه لكي يزيد السمكة قرباً من الزورق . وانقلبت السمكة على جنبها ، لحظة ليس غير ، انقلاباً جزئياً . ثم انها استقامت ، واستهلت دورة جديدة .

وقال الرجل العجوز :

« لقد حرّكتها ! لقد حرّكتها اذن ! »

واحسّ بالدوار يعصف برأسه ، ولكنه واصل جذب الحيط مفرغاً في ذلك كامل قوته . وبينه وبين نفسه قال : لقد حرّكتها . ولعلي ان اوفق هذه المرة الى ان اسوقها حتى القارب . والآن ، إسحبها ايتها اليدان ! تماسكا ايتها الرجلان ! وأنت يا رأسي ، إبقَ الى جانبي ! إبقَ الى جانبي ! انت لم تفارقني في يوم من الايام . هذه المرة سوف اجرّها حتى الزورق .

ولكنه ما إن اخذ يجذب الحيط بأقصى ما يستطيع من قوة ، بادئاً ذلك قبل أن تقترب السمكة من القارب ، حتى وُفق السيف الى ان ينأى ويُعرض بجانبه . ثم استقام واتخذ سبيله في البحر .

وقال الرجل العجوز :

« ايتها السمكة ، إنك سوف تموتين على اية حال .

اتريدين ان اموت انا ايضاً ؟ »

وفكّر : هذه طريقة حمقاء لا تؤدي الى شيء . وكان

فه جافاً الى درجة جعلت من المتعذر عليه ان ينطق بكلمة .
ولكنه ما كان قادراً على ان يبلغ الماء . وتابع تفكيره :
ينبغي ان أستاقه الى الزورق هذه المرة . انا لا استطيع
الثبات طويلاً بعد هذا . ثم خاطب نفسه قائلاً : بل في
استطاعتك ان تثبت ! في استطاعتك ان تثبت الى آخر
الدهر !

وعند الدورة التالية اوسك الشيخ أن يفوز بالسمة .
ولكنها ما لبثت ان استقامت كرة اخرى ومضت تسبح
في أناة .

وبينه وبين نفسه قال : انك تقتلني ، أيها السيف ،
ولكن لك الحق في ذلك . فأنا لم أشهد عمري كله شيئاً
أكبر منك أو أجمل ، أو أرصن ، أو أنبل ، أيها الأخ .
هيا اقتلني . فلست أبالي ، بعد ، أيها قتل الآخر .
وفكر قائلاً : يبدو أن رأسك أمسى مشوشاً . يجب
ان تحافظ على صفاء رأسك . حافظ على صفاء رأسك
واعرف كيف تحمل بلاءك كأنسان . ثم أردف : او
كسمة !

وقال في صوت لم يسمعه إلا بشق النفس :
« استعد صفاءك ، أيها الرأس ! استعد صفاءك ! »
ومرتين اخريين ، دار السيف من غير ان يوفق
الشيخ الى طعنه .
واستشعر انه على وشك ان يخرق فاقده الوعي ، وخاطب

نفسه قائلاً : لست ادري . لست ادري . ولكنني سأحاول
مرة اخرى .

وحاول مرة اخرى . ولم يكذب قلب السمكة حتى احس
بالدوار يعصف برأسه . وقومت السمكة نفسها ونأت في
تؤدة ، ملوثة بذنبيها الطويل في الهواء .

وأكد الشيخ : سوف احاول مرة اخرى - على الرغم
من ان الوهن كان قد غلب على يديه ، ولم يعد في ميسوره
ان يبصر إلا في لحظات معدودات .

وأعاد الكرة ، فلم يوفق الى مبتغاه . وأدركه حس
الأغماء قبل ان يخاطب نفسه : وهكذا فسوف اكرر
المحاولة من جديد .

واستجمع كل ما بقي من قوته وشجاعته وكبريائه التي
تقضت منذ زمن بعيد وحشدها في وجه السمكة المحتضرة .
واقتربت هذه من القارب ، ساجدة في رفق ، وقد اوسك
أنفها ان يمس ألواح القارب ، وبدأت تجوز الزورق طويلة ،
عميقة ، عريضة ، فضية ، معصبة بالأرجوان ، لامتناهية .
وطرح الرجل العجوز الحيط ، ووطئه بقدمه ، ورفع
الحربون أعلى ما يستطيع أن يرفعه ، وانغمده بكل قواه مرددة
بالقوة الجديدة التي حشدها في تلك اللحظة - في جانب
السمكة خلف زعنفة الصدر الكبرى التي علقت في الهواء
فكان ارتفاعها يضاهاى ارتفاع صدر الشيخ . وأحس بجديد
الحربون ينفذ في لحم السمكة فانحنى فوقه ودفعه الى أبعد

طارحاً ثقل جسده كله عليه .

وكان السمكة استشعرت دبيب الموت في اوصالها فارتدت الى الحياة ، ووثبت عالياً من تحت سطح الماء عارضةً كامل طولها وعرضها الباذخين وكامل قوتها وجمالها . وبدت وكأنها معلقة في الهواء فوق الشيخ والقارب . ثم هوت الى اليمّ في طشيش اثار رشاش الماء فوق رأس الشيخ وفوق القارب كله .

والحّ الدوار والكلال على الشيخ ، فلم يعد قادراً على ان يرى جيداً . ولكنه حلّ خيط الحربون وتركه ينزلق في بطنه بين يديه المسلوختي الجلد . حتى اذا عاودته القدرة على الابصار رأى السيف مستلقياً على ظهره ، وبطنه الفضيّ ناهداً الى اعلى . وكان نصل الحربون فائتاً على نحوٍ منحرف ، من كتف السمكة ، وكانت مياه البحر تصطبغ بلون الدم السائل من فؤادها . وكان ذلك اللون داكناً باديء الامر مثل شاطيء ضحل ، في ذلك البحر الازرق الذي يزيد عمقه على ميل . ثم انتشر انتشار السحاب . وكانت السمكة لجينية ساكنة ، وكانت تطفو مع الامواج .

وفي تلك الفترات القصيرة التي تمكن خلالها من الابصار حدّق الشيخ في اهتمام ، ثم لف حبل الحربون مرتين اثنتين حول الوتد القائم عند مقدّم الزورق ووضع رأسه بين يديه .

وقال مستنداً الى خشب القيدوم : حافظ علي صفاء
رأسك . انا رجل عجوز متعب . ولكنني قتلتُ هذا
السيف الذي هو اخي ، ويتعين عليّ ان اقوم الآن
بمختلف ضروب العمل الشاق .

وفكّر : يجب ان أعدّ الحبل والعري لكي اجرّ
السكة الى جانب القارب . وحتى لو كنا اثنين ، وحنينا
القارب لنقلها عليه ثم أفرغناه من الماء لما كان في ميسور
القارب ان يحملها . يجب ان أعدّ الآن كل شيء . ثم اقتادها
وأشدّها بالحبال شداً محكماً . حتى اذا تمّ لي ذلك أقت
السارية ، ونشرت الشراع ، ورجعت الى بيتي .

وشرع يجذب السكة لكي تصبح في محاذاة القارب ،
ولكي يكون في ميسوره ان يدخل الحبل من خلال
خياشيمها ويخرجه من فمها ثم يشدّ رأسها الى القيدوم .
وقال في ذات نفسه : اريد ان أراها . ان المسها . ان
أجسّها . انها ثروتي . ولكن ما لهذا أريد ان أجسّها .
وتابع حديثه الباطني : أحسب اني مسست قلبها حين أغمدت
نصل الحربون في المرة الثانية . إسحبها الى هنا الآن ،
وأحكم وثاقها ، وأمرّ انشوطة حول ذنبها ، وأنشوطة
حول وسطها لشدها الى القارب .
وقال :

« هيا الى العمل ، ايها الرجل العجوز ! » وتناول
جرعة من الماء ، ثم اردف : « امامك اعمال شاقة كثيرة
يجب ان تقوم بها بعد ان انتهى القتال الى غايته . »

ورفع بصره الى السماء ، ثم خفضه نحو سمكته . لقد
تأمل موقع الشمس في اهتمام . وفكر وقال في ذات
نفسه : نحن لم نعدُ الظهيرة كثيراً . وها هي ذي الريح
التجارية تهب . والجبال ، إنها لم تعدُ ذات غناء ، منذ
اليوم . ولكنني سوف أصل ما بينها ، أنا والغلام حين
أنتهي الى البيت .

وقال :

« هيا ، تقدمي أيتها السمكة ! »

ولكن السمكة لم تتقدم . لقد اقامت هناك متمرغة
في الماء ، فاضطر الشيخ الى ان يسحب القارب الى ناحيتها .
حتى اذا انتهى اليها وارتطم رأسها بمقدم القارب لم
يصدق الشيخ عينيه . كانت ضخمة الى حدّ بالغ . وفي
الحال نزع حبل الحربون من وتد المقدم وأمره في خيشوم
السمكة مخرجاً اياه من فكها ، واداره حول رمحها
ليمره بعدُ في خيشومها الآخر . حتى اذا تم له ذلك لف
الحبل كرتة ثانية حول رمح السمكة وعقد طرفيه ، وشدّ
السمكة كلها الى الوتد القائم في مقدم القارب . ثم انه
قطع ما تبقى من الحبل وارتدّ الى مؤخر الزورق لكي
يشدّ الذنب بالطريقة نفسها .

وكان لون السمكة الارجواني الفضي قد حال الان
فضياً خالصاً ، وتكشفت العصاب عن مثل لون الذنب
البنفسجي الشاحب . وكانت تلك العصاب اعرض من يد

المرء وقد نشر اصابعه . أما عين السمكة فبدت نافرة
متوحدة مثل مرايا البريسكوب ، او مثل قديس في
موكب .

وقال الشيخ :

« لم يكن ثمة وسيلة اخرى لقتلها . »

كان شيء من النشاط قد عاوده بعد جرعة الماء التي
تناولها . وصفا رأسه ، وأدرك انه لن يغمى عليه بعد
الان . وفكّر : إن وزنه في ما يبدو يزيد على الف
وخمسة رطل . ولعله ان يبلغ اكثر من ذلك بكثير .
ولنفرض انه قد بقي منه ، بعد انتزاع الزوائد ، ثلثا
هذا الرغ ، وان ثمن كل رطل ثلاثون سنتاً فكم تبلغ
قيمة هذه السمكة ؟

وقال :

« أحتاج الى قلم لكي أجري حساب ذلك . ولعل
رأسي غير صاف الى هذا الحد . ولكنني اظن ان دي
ماغيو العظيم سوف يكون فخوراً بي اليوم . أنا لم اشك
ايّ نتوء في عظم العقب ، ولكن يدي ملتهبتان وظهري
كذلك . »

وفكّر : ترى ايّ شيء هذا الذي يدعونه نتوءاً في
عظم العقب ؟ لعلنا نصاب به من غير ان نشعر .
وشدّ السمكة الى مقدّم القارب ومؤخره والى مقعد
التجذيف الاوسط . كانت بالغة الضخامة حتى لقد خيل

اليه وكأنه يشدّ الى قاربه قارباً اكبر منه بكثير .
وقطع جزءاً من الحبل وربط فكّ السمكة الادي الى انفها
لكي لا يفتح فمها فيعوق حركة القارب . ثم إنه اقام
السارية . وبالعصا التي كانت له بمثابة المحجن ، نشر الشراع .
واتخذ الزورق سبيله في البحر ، واضطجع الشيخ نصف
اضطجاع في مؤخر القارب ، وأدار السكان نحو الجنوب
الغربي .

ولم يكن في حاجة الى بوصلة لكي تنبئه أين يقع
الجنوب الغربي . كان حسبه ان يستشعر الريح التجارية
ويراقب تموجات الشراع . وقال في ذات نفسه : من
الافضل ان أدلي بخيط صغير شدّ إليه شخص على شكل
ملعقة لكي اصطاد شيئاً آكله وأبلّ عروقي بنداوتيه .
ولكنه لم يهتد الى الشخص الملعقي ، وكانت ذخيرته من
السردين قد فسدت . وهكذا التقط بالمحجن حزمة من
عشب « الخليج » الاصفر ثم هزّها لكي يسقط اسمك
الروبيان الصغيرة العالقة بها فوق ألواح الزورق . وهكذا
تساقط ما يزيد على دزينة منها ، وراحت تثب وترفس
مثل براغيث البحر . وفصل الشيخ ، بسبابته وإبهامه ،
رؤوس السميكات عن اجسادها ، ثم أكلها كلها حتى اصداقها
وأذنايها . كانت ضئيلة جداً ، ولكن ريحها طيب ،
وقوتها الغذائية كبيرة .
وكان قد بقي للشيخ ، في زجاجة الماء ، ملء كأسين

ليس غير . حتى اذا التهم سميكات الروبيان جرعة مقدار
نصف كأس . وأبجر الزورق على نحو مرضي - إذا
اعتبر المرء مختلف العوائق والعقبات - وقاده الشيخ ومقبض
السكان تحت ذراعه . كان في ميسوره ان يرى الى السمكة ،
وكان بحسبه ان ينظر الى يديه ويتحسس ظهره بمؤخر
الزورق لكي يدرك ان ذلك قد وقع فعلاً ، ولم يكن
حلماً من الأحلام . ففي فترة ما ، حين اشرفت المعركة على
الانتهاء ، وبلغ الأعياء منه كل مبلغ ، تخيل للشيخ ان
الأمر قد لا يعدو أن يكون مناماً . حتى إذا انطلق
السيف من اعماق الماء ، وتدلّى في السماء ، من غير
حرك ، قبل ان يسقط في اللجة ، ثبت للشيخ ان ثمة
شيئاً عجبياً جداً لا يستطيع هو أن يؤمن به . إنه ما
كان قادراً على ان يبصر جيداً ، آنذاك . أما الآن فهو
يرى كأحسن ما اعتاد أن يرى .

لا ، إنه لم ير ذلك كله في ما يراه النائم ، وها هي
ذي السمكة الكبيرة تحت ناظره ، وها هما يدها وظهره
بجراحاتها والتهاباتها . وقال في ذات نفسه : سوف تشفى
اليدان سريعاً . لقد أثخنتمهما بالجراح ، ولكن الماء المالح
سوف يلام تلك الجراح . إن مياه « الخليج » الحقيقي السوداء
هي اعظم دواء في الوجود . وكل ما يتعين عليّ عمله الآن
هو ان أحفظ بصفاء الرأس . لقد قامت اليدان بمهمتها ،
وها نحن نبحر في سهولة ويسر . اجل ، نحن نبحر ، انا

والسيف ، مثل اخوين ، بعد ان أُغلق فمه واستقام ذيله .
ثم غام رأسه بعض الشيء ، وشرع يفكر : أهو الذي
يقودني ، ام انا الذي اقوده ؟ لو كنت اقطره خلفي لما
كان ثمة شك في المسألة . ولو قد كان هذا السيف منظرحاً
في الزورق ، بعد ان زايله جلاله كله ، لما كان ثمة شك
ايضاً . ولكنهما كانا يبهران ، وقد شدّ احدهما الى الآخر
جنباً الى جنب . وقال الشيخ في ذات نفسه : فليقدني هو
إذا كان ذلك يروق له . أنا لم أفز عليه إلا بالحيل والاساليب
غير الشريفة . وهو لم يكن ليقتصد الى ايذائي ، على الاطلاق .
واتخذنا سبيلها الهاديء في البحر . ونقع الشيخ يديه في
الماء الأجاج ، وحاول أن يحتفظ بصفاء رأسه . وكان
يظلمها ركام من الغيوم السامقة ومقدار غير يسير من سحب
الطحارير جعل الشيخ يدرك أن الريح سوف تهبّ طوال
الليل . ونظر الشيخ الى السمكة الكبيرة نظراً موصولاً
لكي يوقن أنها حقيقة راهنة ! وكان ذلك قبل أن يهاجمه
اول الاقراش .

ولم يكن ذلك القرش هناك ، مصادفة او اتفاقاً . ذلك
بأنه غادر اعماق الاوقيانوس حين تشكلت سحابة الدم الداكنة
ثم تبددت تحلل المياه البالغ عمقها ميلاً . وكان قد انطلق
في سرعة بالغة ومن غير ما احتراس البتة حتى لقد كسر
صفحة الماء الازرق . وأعشته ' اشعة الشمس ، فارتد غائصاً
في البحر . ثم انه اهتدى من طريق الشم الى الاثر الدامي ،

وانشأ يسبح متعقباً الزورق والسمة .

وكان يضل الاثر ، في بعض الاحيان ، ولكنه ما يلبث ان يهتدي اليه ، او تدله اشارة ما عليه ، فينطلق ساجماً خلف الزورق . كان قرشاً ضخماً جداً من الضرب المعروف باسم « ماكو » ، وقد أعدت لبسبح باسرع ما تسبح اي سمكة من سمكات البحر . كان كل ما فيه جميلاً ، ما عدا فكّيه . وكان ظهره ازرق كالسمة السيف ، وكان بطنه جليياً ، وجلده جميلاً املس . وكان اشبه ما يكون بأحد اسياف البحر ، لولا فكاه الضخمان اللذان كانا مطبقين ، الآن ، إطباقاً محكماً فيما هو يندفع ساجماً في سرعة ، تحت سطح البحر مباشرة ، وقد شقت الماء زعنفته الظهرية العالية ، كشفرة فولاذية ، من غير ان تتذبذب . وفي فمه المطبق ، كانت ثمانية صفوف من الانياب المنحرفة ، المرتدة رؤوسها نحو الداخل . ولم تكن مثل الاسنان الهرمية العادية التي لمعظم الاقراش ، ولكنها كانت اشبه شيء بأصابع إنسان منشبة كالبرائن . وكان طولها يبلغ طول اصابع الشيخ تقريباً ، وكان لكل منها - على الجانبين - حافتان قاطعتان كالموسى . وكانت اسماك البحر ذات السرعة والقوة البالغتين ، والاسلحة الواقية ، تعتبر ان ليس لها عدو غير هذه السمكة . انها قادرة على ان تلتهمها جميعاً .

وتعاضمت سرعة القرش حين استروح عقب الدم الاكثر

غضاضة . وانشأت زعنفته الظهرية تشق عباب الماء .
وحين بُصرَ الشيخ بتلك السمكة تتقدم نحوه ادرك
أن ذلك قرش لا يعرف الخوفُ سبيلاً الى قلبه ، وانه
خليق به أن يفعل كل ما يحلو له على وجه الضبط . وأعد
الشيخ الحربون وأوثق الحبل ، فيما هو يراقب القرش
يتقدم . وكان الحبل قصيراً بعد ان أعوزه ما اقتطعه منه
قبل ذلك لكي يشد وثاق السيف .

واستشعر الشيخ النشاطَ والصحوة . وكان ينضح قوةً
وعزماً ، ولكنه كان قليل الأمل في النجاح . وفكر
قائلاً : هذا الوضع جيدٌ الى درجة تجعل استمراره امرأ متعذراً .
وألقى نظرة على السمكة الكبيرة فيما راح يراقب تقدم
القرش نحو الزورق . وقال بينه وبين نفسه : كان من
الممكن ان يكون هذا حُلماً ايضاً . انا لا استطيع أن
احول بينه وبين الهجوم عليّ ، ولكن لعلني أوفق الى
أن أصرعه . وفي ذات نفسه قال : أيها القرش ، لأملك
المهَبَل !

وانتهى القرش الى مؤخر الزورق . حتى اذا هاجم
السيفَ رأى الشيخ فمه المفتوح ، وعينيه الغريبتين . وسمع
أسنانه تصطك مطبقة على اللحم الذي يجاور الذيل مباشرة .
وأخرج القرش رأسه من الماء ، وارتفع ظهره الى سطح
البحر . وكان جلد السيف ولحمه قد شرعا يتمزقان في
اللحظة التي طعن فيها الشيخ رأس القرش بجربونه ، عند

تلك النقطة التي تعارض فيها الحظ الممتد ما بين العينين
بالخط المرتد من الانف مباشرة . ولم تكن هذه ، في
الواقع ، غير خطوط وهمية . اذ لم يكن ثمة غير الرأس
الازرق الثقيل المستدق ، والعينين الكبيرتين ، والفكين
الواخزين المفترسين كل شيء . ولكن كان ذلك مستقر
الدماغ ، فطعنه الشيخ هناك . طعنه بيديه الداميتين
الزلقتين مغمداً حربونه المطواع بأقصى ما يستطيع من قوة .
طعنه من غير أمل ، ولكن في عزم ، وفي حقد غامر .
وانقلب القرش على جنبه ، فرأى الشيخ ان عينه كانت
خلواً من الحياة . وانقلب على جنبه كرة أخرى لاقياً
نفسه بالحبل مرتين . وأدرك الشيخ ان القرش قضى نجبه ،
ولكنه يأبى التسليم بذلك . لقد استلقى على ظهره ،
صافعاً بذنبه الهواء ، مطبقاً انيابه على الفراغ ، وأنشأ
يشير الماء مثل زورق من زوارق السباق . وازبدت المياه
حيث اصابها ذيله . وكان ثلاثة ارباع جسده فوق سطح
الماء عندما توتر الحبل ، وارتعش ، ثم انقصف . وانطرح
القرش ساكناً فوق سطح الماء ، فترة قصيرة ، ثم غاص
الى الاعماق في اناة بالغة .

وقال الشيخ في صوت عال :

« لقد التهم نجواً من اربعين رطلاً . »

ثم فكر : ليس هذا فقط ، بل لقد اخذ حربوني
ايضاً ، والحبل بكامله . وها هي سمكتي يسيل منها الدم

كرة اخرى . ولا بد ان تُقبل الآن اقراش اخرى .
ولم يؤانس في نفسه ميلاً الى النظر الى السمكة بعد
ان بُترت وشوّت . فحين نهش القرش لحم السمكة أحس
الشيخ وكان لهُ هو ، هو الذي 'نهش' .
وبينه وبين نفسه قال : ولكنني قتلتُ القرش الذي
نهش لحم سمكتي . وكان أكبر الأقراش التي رأيتها في
حياتي . والله وحده يعلم كم قرشٍ ضخم أبصرتُ عيناى .
وفكّر : كانت الحال اجود من ان تستمر . ليت
ذلك كله كان 'حلماً' ، وليتني لم اصطد هذا السيف . بل
ليتني كنت في سريري فوق الصحف العتيقة .
وقال :

« ولكن الانسان لم 'يخلق' للهزيمة . الانسان قد
يُدمر ولكنه لا 'يهزم' . »
وفكّر : ومع ذلك فأنا آسف لقتلي هذه السمكة .
وها قد اوشكت الاحوال الجوية أن تسوء ، وليس
عندي حربون . إن القرش وحشي وبارع ، قوي وذكي .
ولكنني كنت اذكى منه . ولكن من يدري ؟ لعلي
كنت اقوى سلاحاً ليس غير .
وقال في صوت عالٍ :

« لا تفكر ، أيها الرجل العجوز . أبحر في هذا
الانجاء ، وواجه الأشياء عند حلولها . »
وبينه وبين نفسه قال : ولكن يتعين عليّ ان افكر .

لأن التفكير هو كل ما تبقى لي . اعني التفكير
والبيسبول . ترى ، ما رأي دي ماغيو الكبير في الطريقة
التي طعنته بها في الدماغ ؟ وفكر : ولكنها لم تكن
شيئاً عظيماً . كان في ميسور اي رجل ان يفعل مثل
ذلك . ولكن هل تظن ان يدي المسلختين كانتا عائقاً
كبيراً كنتوء عظم العقب ؟ لست ادري . انا لم اشك
المأ في عقبي ، طوال حياتي ، إلا حين وطئت ، وانا
اسبح ، احدي السمكات المفلطحة فلسعت عقبي بجمتها . وحتى
هذه الساعة شلت رجلي كلها ، وأورثني المأ لا سبيل الى احتماله .
وقال :

« فكر في شيء يوقع البهجة في فؤادك ، ايها الرجل
العجوز . إن كل دقيقة تقربك خطوات من البيت .
وانت تبهر الان في سرعة اعظم بعد ان خسرت اربعين
رطلاً من لحم السمكة . »

وكان يعرف جيداً ما الذي سيقع حين ينتهي الى
قلب التيار . ولكن لم يكن ثمة ما يعمل ، الآن .
وقال في صوت عال :

« بلى ، هناك ما يمكن ان يعمل . في استطاعتي ان
اشد مديتي الى عقب أحد المجدافين . »
وكذلك فعل ، ومقبض السكان تحت ذراعه ، والحبل
المعدّل لاتجاه السراع تحت قدمه .
وقال :

« والآن ، أنا لا أزال شيخاً كبيراً ، ولكنني لست
أعزل من السلاح . »
كان النسيم عليلاً . وكان الزورق يبحر في سلاسه .
ولم يكن في استطاع الشيخ ان يرى غير الجزء الأعلى من
سمكة . وعاوده الامل بعض الشيء .
وخاطب نفسه قائلاً : من الحماسة ان يفقد المرء الامل .
والى هذا ، فانا أعتبر ذلك إثماً . ولكن دع عنك التفكير
في الأثم . إن عندك من المموم ما لا يبقى مجالاً للتفكير
في الأثم . أضف الى ذلك أني لا افهمه على الإطلاق .
أنا لا افهم الأثم ، ولست واثقاً من انني أؤمن به .
لعله كان إثماً ان اقتل السمكة . بل اني لاظنه كذلك ،
برغم اني اقدمت عليه لكي أسد رمقي وأطعم كثيراً من
الناس . ولكن كل شيء يصبح عندئذ إثماً . لا تفكر في
الأثم ، ايها الرجل العجوز . لقد فاتك القطار الآن ،
وهناك اناس 'تدفع اليهم الأجور لكي يقترفوه . دعهم
يفكرون في ذلك . اما انت فقد ولدت صياداً كما ولدت
السمكة لكي تكون سمكة . القديس بطرس كان صياد
سمك ، ووالد دي ماغيو العظيم كذلك .
ولكنه كان مولعاً بالتفكير في جميع الاشياء التي
تعنيه . واذ لم يكن عنده شيء يقرأه او راديو يستمع
اليه فقد استغرق في التفكير ، وأصر على النظر في موضوع
الخطيئة . انت لم تقتل السمكة لأنك تتصور جوعاً ، ولا
لمجرد رغبتك في بيعها - كذلك قال في ذات نفسه .

لقد قتلتها بسائق الزهو والحياة ، ولأنك صياد سمك .
لقد احببتنا حين كانت على قيد الحياة ، ولقد احببتنا بعد
ذلك ايضاً . واذا كنت تحبها فليس من الاثم ان تقتلها .
ام ان ذلك ادهى وأمرّ ؟

وقال في صوت مرتفع :

« انت تفكر كثيراً ، ايها الرجل العجوز . »

وحدثته نفسه : ولكنك وجدت متعة في قتل القرش .
إنه يعيش على السمك الحي ، مثلك . إنه لا يجيا على
الجيف ، وليس مجرد معدة متحركة مثل بعض الاقراش .
إنه جميل ، ونبييل ، وليس يعرف الخوف من اي شيء .
وصاح الشيخ :

« لقد قتلته دفاعاً عن النفس . ولقد قتلته في ضراوة . »
وبينه وبين نفسه قال : والى هذا فكل شيء يقتل كل
شيء آخر بطريقة ما . إن صيد السمك يفتك بي كما
يبقيني على قيد الحياة ، سواء بسواء . والغلام يمدني بالحياة .
ينبغي ان لا اخدع نفسي اكثر مما ينبغي .

وانحنى فوق جانب الزورق ، وانتزع قطعة من لحم
السيف الذي نهشه القرش . ومضغها معجباً بجودتها وحسن
مذاقها . كانت خلواً من الألياف ، ولقد ادرك الشيخ انها
خليقة بأن تفوز في السوق بالسعر الأعلى . ولكن لم تكن
ثمة وسيلة للحيلولة بين غيرها والنفاذ الى اعماق البحر ،
وكان الشيخ يعلم ان ذلك سوف يجرد عليه متاعب مزعجة

جداً .

وكانت الريح تهب على نحو موصول . لقد ارتدت بعض
الشيء ، كما فعلت من قبل ، الى الشمال الشرقي ، فعرف
الشيخ من ذلك انها لن تهدأ . وتطلع الرجل العجوز امامه ،
ولكنه لم يستطع ان يرى شراعاً ما ، او دخاناً ما
ينبعث من ابي مركب . لم يكن ثمة غير السمكات الطائرة
التي انطلقت من مقدم زورقه واتخذت سبيلها ذات اليمين
وذات الشمال ، وغير اعشاب « الخليج » الصفراء . إنه ما
كان قادراً على ان يرى عصفوراً واحداً .

وكان قد ابجر على هذا النحو ساعتين اثنتين ، مستنداً
الى مؤخر الزورق ، ماضغاً بين الفينة والفينة قطعة من لحم
السيف ، محاولاً ان يستريح ويستعيد قواه ، عندما بصر
بأول القرشين .

وصاح :

« آي ! »

ولا سبيل الى ترجمة هذه الكلمة . ولعلها مجرد صوت
كذلك الذي يرسله المرء ، على نحو غير ارادي ، حين يحس
بالمسار يخترق يده ويفيب في الحشب .

وصاح :

« غالانوس » galanos

لقد رأى الزعنفة الثانية تتقدم خلف الأولى ، فأدرك
انه امام قرشين من ذوات الانف الشبيهة بالمسحاة . وانما

عرف ذلك من الزعنفة السمراء المستطيلة ، ومن حركات
الذنب الشبيهة بضربات المكنسة . لقد استروحا دم السيف ،
فهاجها ذلك ، ولكن جوعها العظيم الاحمق كان يضلها
الاثر ثم يردّها اليه من غير انقطاع . ومع ذلك فقد كانا
يقتربان من الزورق على نحو موصول .

واوثق الشيخ الحبل المعدل لاتجاه الشراع ، وثبتت
مقبض السكان ، وأمسك بالمجذاف الذي شدّ اليه المديّة .
ورفعه بأقصى ما يستطيع من الرفق ، لأن يديه كانتا
تتميزان الماء . ثم إنه فتحها وأطبقها على المجذاف ، غير
مرة ، وفي أناة ، تلييناً لها . وأخيراً أطبقها في إحكام
بالغ لكي يخنق الألم اللاذع ، وأنشأ يراقب القرشين
المندفعين نحو الزورق . لقد رأى رأسيها العريضين المسطحين
الشبهين بالمسحاة ، وزعانفها الصدرية العريضة البيضاء
الرؤوس . كانا قرشين قذرين ، كرهبي الرائحة يعيشان
على الجيف اكثر مما يعيشان على الصيد والفنص . وكانا
إذا ما استبدت بهما الجوع خليقين بأن يهجموا على مجذاف
الزورق او دفتته فيعضانها ، وبأن يقطعوا أرجل السلاحف
وأيديها حين تكون السلاحف نائمة فوق سطح الماء . ليس
هذا فحسب ، بل لقد كانا خليقين بأن ينقضّا على الانسان
فيطرحاه في الأعماق ، حتى ولو لم تفح منه رائحة السمك
أو رائحة الدم .

وقال الشيخ :

« آي ، غالانوس ! هيتا ، غالانوس ! »
وأقبلا . ولكنهما لم يُقبلا كما أقبل القرش الاول -
ال « ماكو » . فقد استدار أحدهما وغاب عن العياف
تحت القارب ، وكان في ميسور الشيخ ان يحسّ بالقارب
يهتزّ فيما هو ينهش السمكة . وراقب الآخر ، بعينه
الضيقتين الصفراوين ، الرجل العجوز ، ثم انقضّ فجأة ،
فاغترّ الفكّين ، على السمكة ، فنهشها حيث نهشت من
قبل . وبدا الحظّ الحياييّ واضحاً من قمة رأسه
الأسمر الى حيث يتصل الدماغ بالحبل الشوكي . وفي تلك
النقطة بالذات طعن الشيخ القرش بالمديّة المشدودة الى
المجذاف . ثم إنه سحبها واهوى بها من جديد على عيني
القرش الصفراوين الشبهتين بأعين الهررة . فما كان من
القرش إلا ان خلس السمكة ، وغار في الماء ، مزدرداً
ما نهشه منها ، ومات .

وكان القارب ما يزال يرتعد بسبب من هجمات القرش
الآخر على السمكة . وخطى الشيخ الحبل المعدّل لاتباعه
الشراع لكي يدور الزورق بالعرض ، ويخرج القرش من
تحتة . ولم يكد الشيخ يرى الى القرش حتى انحنى فوق
جانب الزورق وطعنه بمديته . ولكنه لم يُصب منه غير
لحمه ، بسبب من قساوة الجلد على نحو جعل المديّة لا تنفذ
الى جسد القرش إلا بشقّ النفس . ولم تؤلم الطعنة يدي
الشيخ وحسب ، بل آلمت كتفه ايضاً . ولكن القرش

ارتفع في سرعة مُطلعاً رأسه من الماء . ولم يكد انف
القرش يخرج من الماء ويستقر على السمكة حتى طعنه
الشيخ في أمّ رأسه المسطح . ثم إن الشيخ انتزع المديّة
وأغمدها في رأس القرش حيث طعنه أول مرة . ولكن
القرش تشبث بالسمكة ، مطبقاً فكّيه على لهما : فطعنه
الشيخ في عينه اليسرى . ومع ذلك فقد ابى القرش ان
يتزحزح .

وقال الرجل العجوز :

« ألا يكفيك هذا ؟ »

وأغمد المديّة بين الفقار والدماغ ، فشقت طريقها في
سهولة ويسر . واحسن بالعضروف ينفطر . وقلب المجذاف
وغيب النصل بين فكّي القرش لكي يفتحهما . ثم ادار
النصل حول نفسه عدة مرات . حتى اذا خلى القرش
السمكة وغار في الماء قال الشيخ :

« أغرب من هنا ! غص الى عمق ميل كامل .

إذهب والتق صديقك ، ومن يدري ؟ فلعلها أمك . »

ومسح الشيخ شفرة مديته ، ووضع المجذاف جانباً .

ثم انه أمسك بالحيط المعدل لانتجاه الشراع ، فانتفخ

الشراع ، واستقام الزورق في طريقه السوي .

وقال في صوت عال :

« لقد اكلت الاقراش ربع السمكة على الاقل ، -

الربع الذي يضم احسن لهما . ليت ذلك كان حلاً ،

وليتني لم أوقع هذا السيف في شركي ! إن هذا يجزني
أيتها السمكة . إنه يفسد كل ما عملته . »
وصمت ، ولم يعد راغباً في النظر الى السمكة . كانت
دماؤها قد استنزفت ، وكان الماء يغسلها من اقطارها فهي
تبدو في مثل لون الفضة التي تظلي بها ظهور المرايا .
وكانت العصائب التي تطوقها ما تزال بادية للعيان .
وقال :

« ما كان ينبغي لي ان اذهب الى هذا الحد ، أيتها
السمكة . إن ذلك لم يكن لا في مصلحتي ولا في مصلحتك .
أنا آسف ، أيتها السمكة ! »

وخاطب نفسه قائلاً : والآن ، ألق نظرة على وثاق
المدية لتستيقن انه لم ينقطع . ثم أول يدك بعض الاهتمام لان
ثمة اقراساً اخرى سوف تقبل من غير ريب .
وقال بعد ان فحص الوثاق الذي يشد المدية الى عقب
المجذاف :

« لشد ما اتمنى لو كان عندي حجر أشحد عليه المدية .
كان ينبغي أن آتي بحجر . »
وفكّر : كان يتعين عليك ان تأتي بأشياء كثيرة ،
ولكنك لم تأتي بها أيها الرجل العجوز . وليس هذا هو
وقت التفكير في ما يعوزك . فكّر في الذي تستطيع ان
تفعله بما في حوزتك من اسباب .
وقال في صوت عال :

« أوه ، كف » عن إسداء هذه النصائح اليّ . لقد
ملت ذلك . »

ووضع مقبض السكّان تحت ذراعه ونمّس كلتا يديه في
الماء ، بينما كان القارب يمضي في سبيله .
وقال :

« الله وحده يعلم كم انتزع القرش الاخير من لحم
السّمكة . ولكنها أمست أخفّ من ذي قبل بكثير . »
ولم يكن راغباً في ان يفكر في التشويه الذي أصاب
الجزء الأدنى من السمكة . فقد عرف ان كل زلزلة أثارها
القرش كانت تعني قطعة من لحم السيف تنهّش وتتردد ،
وأن السيف قد ترك لجميع أقراش البحر أثراً لاجباً كالجادة
يشق صفحة الماء .

وقال في ذات نفسه : هذه السمكة تستطيع أن تملأ
جوف الانسان طوال الشتاء . ولكن ، دع عنك التفكير
في ذلك . كل ما عليك ان تعمله هو ان تستريح ، وان
تحاول إعداد يديك للدفاع عما تبقى من السمكة . إن
رائحة الدم المنبعث من يديّ ليست شيئاً بالقياس الى هذه
الرائحة التي تقوح من الماء . والى هذا ، فان الدم ما عاد
يسيل منها كثيراً . وليس ثمة جرح واحد ذو خطر .
وجريان الدم قد بقي اليد اليسرى من التشنج .

وفكّر : ما الذي استطيع أن افكر فيه الآن ؟ لا
شيء . يجب ان لا افكر في شيء ، وأن انتظر الاقراش

التالية . لشدّ ما أتمنى لو كان ذلك 'حلماً حقاً ! ولكن
من يدري ؟ فقد كان من الممكن ان يُسفر عن نتيجة
حسنة .

وكان القرش التالي مفرداً . وكان ذا رأس عريض شبيه
بالمسحاة . وانقضّ على فريسته كما ينقضّ خنزير على مذوده لو
كان للخنزير شذق عريض يمكنك من ان تضع رأسك فيه .
وتركه الشيخ ينهش لحم السمكة ثم غيّب مديته المشدودة
الى الجذاف في دماغه . ولكن القرش ارتد الى الورا وهو
يعاني سكرات الموت فانكسر نصل المدينة .

وانصرف الشيخ الى ادارة السكان . إنه لم يلق ولو
نظرة واحدة على القرش الضخم الذي راح يغوص في الماء ،
وقد بدا في حجمه الطبيعي ، باديء الأمر ليغدو بعد
صغيراً فضيلاً . كان ذلك المشهد يفتن الشيخ دائماً . ولكنه
لم يبال به ، الان ، البتة .

وقال :

« لم يبق عندي غير المحجن . ولكنه لن يكون ذا
غناء . وعندى الجذافان ، ومقبض السكان والهاوّة
القصيرة . »

وخاطب نفسه : الآن 'غلبت . انا اعلى سنأ من ان
أقرع الاقراش ، بالهاوّة ، حتى الموت . ولكنني سوف
اكافح ما دام عندي الجذافان ، والهاوّة الصغيرة ومقبض
السكان .

ووضع يديه في الماء ، كرة اخرى ، لكي ينقعها .
وكان الأصيل يؤذن بالانقضاء . ولم تقع عينا الشيخ على
شيء ، غير الماء والسما . وهبت الريح ، وصار في
ميسوره ان يعلل النفس برؤية اليابسة عما قليل .

وقال :

« انت متعب أيها الرجل العجوز ! أنت متعب
حتى العظم ! »

ولم تهاجمه الاقراش كرة اخرى إلا بعد ان جنحت
الشمس الى الغروب .

وبصر الشيخ بزعنفتين سمراوين تتخذان سبيلها عبر
الاثر العريض الذي تركته السمكة في الماء . ومن عجب
ان هذين القرشين لم يضربا في البحر التماساً للرائحة ، بل
انطلقا نحو القارب مباشرة ، ساجدين جنبا الى جنب .
وثبت الشيخ مقبض السكان ، وأوثق حبل الشراع ،
وانتزع المراوة من تحت مؤخر الزورق . وكانت عبارة
عن مقبض مجذاف مكسور نُشر حتى أمسى طوله نحواً
من قدمين ونصف . ولم يكن بقادر على ان يصطنعها في
فعالية إلا اذا أمسكها بيد واحدة ، بسبب من شكل
بمسكها . وفي حزم ، اطبق الشيخ بيده اليمنى عليها ،
وانحنى فوقها وانشأ يراقب اندفاع القرشين . كانا كلاهما
من نوع غالانوس .

وخاطب نفسه : يجب ان أدع أولهما يُنشب أنيابه في

السمكة ثم أضربه على أنفه أو عبر قمة رأسه .
واندفع القرشان نحو السمكة ، في آنٍ معاً . حتى اذا
رأى أقربهما يفتح فكّيه ويطبّقهما على بطن السمكة الفضي ،
رفع المراوة عالياً ثم أهوى بها ثقيلةً صاخبةً على أمّ رأس
القرش العريض . وواجهت المراوة ضرباً من المقاومة
المطاطية المرنة ، ولكن الشيخ احسّ في الوقت نفسه
بصلابة العظم . وفيما القرش ينأى عن السمكة ، ضربه
الشيخ كرة اخرى على انفه .

وكان القرش الآخر قد انقضّ على السمكة وارتدّ
عنها مرات عديدة ، وكان قد انقلب اليها الآن واسع
الشدقين . لقد رأى الشيخ الى قطع اللحم - لحم السمكة -
تسيل بيضاء من زاوية فمه فيما هو ينقضّ على السمكة
وينشب أنيابه فيها . ورفع الشيخ المراوة وأهوى بها
عليه ، ولكنه لم يصب غير رأسه . ونظر اليه القرش ،
وانتزع قطعة اللحم التي كان قد قطعها . وأهوى الشيخ
بمراوته عليه فيما كان ينسلّ ليلتلع تلك القطعة ، ولكنه
لم يصب هذه المرة ايضاً غير الطبقة المطاطية الكثيفة من
الرأس .

وقال الرجل العجوز :

« تعال ، ايها القرش ! تعال مرةً اخرى ! »

واقبل القرش في اندفاعه ، فاستقبله الشيخ بمراوته حين
أطبق فكّيه . لقد رفع المراوة اعلى ما يستطيع ان يرفعها

واهوى بها قوية قاضية . وهذه المرة استشعر الشيخ انه
اصاب العظم عند مستقر الدماغ . ثم سدّد الى ذلك
الموضع عينه ضربة اخرى ، فيما انتزع القرش الحدر قطعة
اللحم ونأى عن السمكة .

وقال الشيخ في ذات نفسه : قد يعود . ولكن اياً من
القرشين لم يبرز للعيان . ثم رأى واحداً يحوم فوق
سطح الماء . ولم ير زعنفة الاخر .

وفكّر : لم يكن في وسعي ان اتوقع قتلها . فقد
تغير الحال الان . ولكني اصبتها كليهما إصابة خطيرة ،
ولن يستشعر اى منها نشاطاً منذ اليوم . ولو قد كان
في إمكاني ان اضربها بكلتا يديّ بأحد النبايت اذن
لقتلت اولهما من غير ريب . حتى في هذه اللحظة -
كذلك قال في ذات نفسه .

ولم يرغب في النظر الى السمكة . لقد عرف ان
الاقراش قد التهمت نصفها . وكانت الشمس قد جنحت
الى الغروب فيما هو منهمك في قتال القرشين .
وقال :

« سوف يهبط الليل وشيكاً . وعندئذ لا بد ان أرى
اضواء هافانا . واذا كنت قد اوغلت في المضي نحو الشرق
فسوف ارى اضواء شاطيء من الشواطيء الجديدة . »
وفكّر : ينبغي ان لا أوغل في الابتعاد عن الشاطيء
منذ اليوم . وأرجو ان لا يقلقوا عليّ هناك . ان الغلام

وحده هو الذي سوف يقلق عليّ ، طبعاً . ولكنني واثق
من أنه لن يقطع الرجاء . وكثير من الصيادين الشيوخ
سوف يقلقون . وكثير غيرهم ايضاً . أنا أحيأ في بلدة
طيبة .

ولم يعد في ميسوره أن يخاطب السمكة بعد الآن لأن
السمكة كانت قد سُوتت تشويهاً فظيماً . وفجأة ، طافت
طافت برأسه فكرة .

وقال :

« يا بقية من سمكة ! يا سمكة كنتيها ! أنا
أسف لأبغالي في الابتعاد عن الشاطئ . لقد حطمني ذلك
وحطمتك . ولكننا قتلنا كثيراً من الاقراش ، أنا
وانت ، ودمرنا كثيراً منها . كم قرشاً قتلت في
حياتك ايتها السمكة العجوز ؟ انت لم تحملي ذلك الرمح
على رأسك لغير ما سبب ! »

وأحب ان يفكر في السمكة وفي ما تستطيع أن
تفعله بأحد الاقراش لو كانت تسبح في حرية . وفكر :
كان ينبغي ان اقتطع ربحها ذاك واحارب الاقراش به .
ولكن لم يكن ثمة فأس ، وكنت قد فقدت مديتي .
آه لو استطعت ان افعل ذلك ! آه لو استطعت ان
أثبتته الى عقب احد المجذافين ! أي سلاح هائل كنت
خليقاً بأن افوز به ! واذن لكنا جديرين ، أنا وانت ،
بأن نقاتلهم معاً . ما الذي سوف تفعلينه الان إذا اقبلوا

في الليل ؟ ما الذي تستطيعين أن تفعليه ؟
وقال :

« القتال ! سوف اقاتلهم حتى اموت ! »
واذ ضميره الظلام ، ولم تقع عينه على ايام وهج ولا
اضواء ، واذا أمسى متوحداً لا رفيق له غير الريح وغير
اندفاعه الشراع المطردة ، استشعر وكأنه قد أسلم الروح .
وشبك يديه ، وجسّ راحتيها ، فاذا هما غير مبتتين على
الاطلاق . ولم يكن محتاجاً ، لكي 'يجري الحياة فيها ،
الى اكثر من فتحها وإغلاقها على نحو موصول . وأسند
ظهره الى مؤخر القارب ، وأدرك انه ليس ميتاً . لقد
أنبأته بذلك كتفاه .

وفكّر : هناك جميع تلك الصلوات التي وعدت بتلاوتها
اذا ما فزت بالسمكة . ولكني من الاعياء بمحلّ لا
يمكنني من ان اتلوها الان . من الأفضل ان آتي
بالكيس وأضعه فوق منكبّي .

واستلقى في مؤخر القارب نصف استلقاء ، وامسك
بالسكان ، وانشأ يراقب الافق عله يقع على طلائع الضوء .
وقال في ذات نفسه : لقد بقي من السمكة نصفها ،
فعسى ان يكون من حظي ان ابلغ به شاطيء السلامة .
انا استحق شيئاً من الحظ . ثم اردف في الحال : لا .
لقد انتهكت حرمة حظك حين اوغلت في الابتعاد عن
الشاطيء هذا الأيغال كله .

وقال في صوت عالٍ :

« لا تكن أحمق ! حاذِرْ ! ان تستسلم للنعاس ، وأدِرِ
السكان . فقد يخالفك الحظ بعد قليل . »

وفكّر : اود لو أستري شيئاً من لحمها إذا ما عرضوها
للبيع في مكانٍ ما .

وسأل نفسه : ولكن بمَ أستري تلك القطعة من لحمها ؟
هل أستطيع ان أستريها بجرّيون ضائع ، ومدية مكسورة ،
ويدين واغنتين ؟!

وقال في ذات نفسه : ولمَ لا ؟ لقد حاولت ان تشتريها
بأربعة وثمانين يوماً قضيتها في عرض البحر . بل لقد كادوا
يبيعونها لك ايضاً .

وفكّر : يجب ان لا افكر في هذا الهراء . الحظ شيء يأتي
في صور متعددة . ومن ذا الذي يستطيع ان يتبينه ؟
وعلى اية حال ، فاذا ما جاءني الحظ ، في صورة ما ،
فسوف افعل كل ما يطلب اليّ فعله . انا اتمنى اشياء كثيرة
جداً . ولكن هذا هو الشيء الذي اتمناه الان . وحاولت
ان يتخذ وضعاً يمكنه من ادارة السكان على نحو ادعى
الى الراحة . وكان في الألم الذي اورثته إياه هذه الحركة ما
أكد له انه ليس بميت .

وحوالى الساعة العاشرة ليلاً ، في اغلب الظن ، بصُرَّ بهالة
الانوار المنعكسة من المدينة على صفحة الماء . وكانت اول
امرها اشبه شيء بذلك الضوء الباهت الذي ينتشر في

السماء قبيل بزوغ القمر . ثم انتهت الى ان تصبح ثاقبة
تخترق وجه المحيط الذي طفت امواجه تتلاطم بعد ان
اشتدت الريح . وقاد الشيخ زورقه ضمن نطاق الهالة ، وقدّر
انه سوف يبلغ حاشية التيار في وقت قريب .

وقال في ذات نفسه : انتهى الان كل شيء . واغلب
الظن ان الاقراش سوف تهاجمني من جديد . ولكن اي
شيء يستطيع المرء ان يفعله بها ، في غمرة الظلام ، وهو
اعزل من السلاح ؟

كان متصلب الاوصال ، مغيظاً . وكان برد الليل
قد أثار كل جراحات جسده المرهق وآلامه . وخاطب
نفسه قائلاً : ارجو ان لا أضطر الى استئناف القتال .
ارجو من شعاف قلبي ان لا أضطر الى استئناف القتال !
ولكن ما إن انصف الليل حتى خاض غمار معركة
اخرى . وادرك الشيخ ان القتال هذه المرة عبث لا طائل
تحتة . فقد اندفع نحوه من الاقراش قطعاً كامل ، ولم
يكن في ميسوره ان يرى غير الخطوط التي احدثتها زعانف
الاقراش في الماء وغير تألقها الفوسفوري وهي تنقض على
السكة . وانهاال الشيخ على رؤوس الاقراش ضرباً ،
وسمع فكوكها تطبق مدوية ، واحسن بالقارب يتأرجح
فوق ظهورها . وناضل الشيخ ، في يأس ضد أعداء لم
يكن قادراً على ان يراها ، ولكنه يحسن بها ويسمعها .
وفجأة استشعر شيئاً ينتزع المرأوة ، فضاعت من يديه .

وهنا نتر الشيخ مقبض السكان وراح يضرب به
الاقراش ، رافعاً إياه بكلا يديه ، مهوياً به مرة بعد مرة .
ولكن الاقراش كانت قد انتهت الى القيدوم ، فهي
تنقض على السمكة ، وحداناً وزرافاتٍ ، وتنهش اجزاء
من لحمها كانت تراها تتوهج تحت الماء وهي ترتد منقضة
على السمكة من جديد .

واخيراً انقض احد الاقراش على رأس السمكة نفسها .
وادرك الشيخ ان كل شيء قد انتهى . فرفع مقبض السكان
وأهوى به على رأس القرش ، وكانت كثافة رأس السمكة
قد استعصت على فكي القرش فهو لا يستطيع انتزاع شيء
منه . وعاد الشيخ ضرب القرش مرةً ومرةً ومرةً .
وانكسر مقبض السكان . فواصل ضرب القرش بمقبض المقبض
المكسور . وأحسن بهذا العقب ينفذ الى رأس القرش ،
فأدرك أنه حاد فعاود ضرب القرش به . وعندئذ نأى
القرش وأعرض بجانبه ، وتلوى في سكرة الموت . وكان
ذلك آخر قرش انقض على السمكة من اقراش القطيع .
إذ لم يبق من تلك السمكة ما تستطيع الاقراش أن تأكله .
كان الشيخ يلهث لهائناً شديداً ، وكان مذاق غريب يملأ
فمه . إنه مذاق نحاسي وحلو . ولقد خافه الشيخ باديء
الامر ، ولكنه لم يكن قوياً ذا خطر .

وبصق الشيخ في المحيط وقال :

« كلوا هذا ، ايها الاقراش ، واحملوا انكم قتلتم

رجلاً ! »

لقد أدرك الآن انه هزم هزيمة نهائية لن تقوم له بعدها قائمة . فانقلب الى مؤخر القارب فوجد ان طرف المقبض المثلوم يلج في تجويف السكان على نحو يمكنه من قيادة الزورق . ثم إنه طوّق كتفيه بالكيس ، واتخذ سبيله نحو اليابسة . لقد غدا القارب خفيفاً رشيق الحركة ، ولم تراود الشيخ أيما فكرة ، أو يخالجه أيما شعور . لقد تخطى الآن كل شيء ، فهو لا يفكر إلا في شيء واحد : ان يبلغ الشاطيء على خير وجه يستطيعه وأذكاه . وفي موهن من الليل كانت الاقراش تنقض على هيكل السمكة العظمي كما يتهافت الفقراء على بقايا المائدة . ولم يبالي الشيخ بهم . إنه لم يبالي بشيء غير إدارة السكان . بيد انه لاحظ رشاقة القارب وسرعته بعد ان تخفف من معظم الحمل الذي كان يُثقل خطاه .

وقال في ذات نفسه : إنها ما تزال سليمة . ولم يُصب اي شيء فيها بسوء ، باستثناء مقبض السكان . ومن اليسير عليّ ان استبدل به غيره .

وأحس أنه انتهى ، الآن ، الى مجرى التيار ، وصار في ميسوره ان يرى إلى اضواء الشواطيء المتناثرة على طول الساحل . لقد عرف ان هو الآن ، ولم يعد الوصول الى البيت أمراً عسيراً .

وخاطب نفسه : الريح صديقتنا على أية حال . ثم

أردف : أعني في بعض الاحيان . وكذلك البحر الكبير
بما فيه من اصدقاء لنا وأعداء . وفكر : والسرير أيضاً .
السرير صديقي . لا شيء غير السرير . لا ريب في أن
الاستلقاء عليه شيء عظيم . وقال في ذات نفسه : لشد ما
تبدو الأشياء سهلة حين يهزم المرء . أنا ما كنت أحسب ،
في يوم من الايام ، أنها سهلة الى هذا الحد . ولكن ما
الذي انتهى بك الى الهزيمة ؟

وأجاب في صوت عالٍ :

« لا شيء . كل ما في الأمر اني أمعنت في الابتعاد

عن الشاطئ . »

حتى اذا دخل المرفأ الصغير كانت أضواء « السطيحة »
مطفأة ، فأدرك أن القوم قد آروا الى مضاجعهم . وكانت
الريح قد هبت رخاء ، باديء الامر ، ثم أخذت في
الاستداد فهي الآن قوية عاصفة . ومع ذلك فقد كانت
السكون يخيم على المرفأ ، فتقدم بقاربه حتى مجتمع الألواح
الحشبية تحت الصخور . ولم يكن ثمة من يساعده فدفع القارب
الى أبعد ما استطاع ان يدفعه . ثم غادره وشدّه الى احدى
الصخور . ونزع السارية ، وطوى الشراع وأوثقه بها . ثم إنه
تنكب * السارية ، وشرع يصعد في الشاطيء . وفي
تلك اللحظة فقط ادرك مبلغ الاعياء الذي استبد به .
ووقف لحظة ، والتفت الى الوراء فرأى ذنب السمكة

• تنكب الكناية او القوس : ألغاه على منكبه .

الكبير - على ضوء مصباح الشارع - وقد ارتفع الى ما
فوق مقدم الزورق بكثير . وبَصُرْ بعمودها الفقري
وكانه خيط ابيض عارٍ ، وبكتلة الرأس الداكنة ،
وبالرمح الناقية ، وبذلك العري المستامي ما بين رأس
السكة وذنبها .

وواصل تصعيده . حتى اذا بلغ القمة سقط وظلّ
منطرحاً على الارض ، برهة من الزمن ، والسارية معترضة
كتفه . وحاول ان ينهض ، ولكنه اخفق ، فلبث هناك
والسارية على كتفه ، وانشأ ينظر الى الطريق . وفي
الجانب الآخر مرت هرة تسعى في مناكبها . وراقبها
الرجل العجوز ، ثم اجتزأ بمراقبة الطريق .

واخيراً انزل السارية عن منكبه ونهض . ثم رفع
السارية وتنكبها واستأنف السير . ولقد اضطر الى ان
يقعد خمس مرات على الارض قبل ان يبلغ كوخه .

حتى اذا انتهى اليه أسند السارية الى الجدار . وفي
غمرة الظلام التمس زجاجة ماء ، وشرب جرعة . ثم
استلقى على السرير رافعاً البطانية حتى كتفيه ، وسواها حول
قدميه وظهره . ونام على وجهه فوق الصحف القديمة ،
ويداه منشورتان الى أعلى ، وراحته تواجهان السقف .

وكان نائماً حين أطلّ الغلام ، صباح اليوم التالي ، من
شق الباب . كانت الريح عاصفة الى حد جعل من
المتعذر على المراكب ان تغادر الشاطيء . وهكذا استرسل

الغلام في نومه ، ذلك اليوم ، ثم اقبل على كوخ الرجل
العجوز ، فعله كل صباح . وفي الحال انحنى الغلام فوق
الشيخ لكي يستيقن أنه ما يزال يتنفس . ثم انه رأى يدي
الرجل العجوز ، وأنشأ ينشج . وسارع الى مغادرة
الكوخ ، في هدوء كثير ، ليحمل اليه شيئاً من القهوة .
وطوال الطريق كانت الدموع تتحدر على خديه .
وكان كثير من الصيادين قد احتشدوا حول القارب
وراحوا ينظرون الى ما كان مشدوداً الى جانبه . وكان
واحد منهم قد خوض في الماء ، راداً بنظونه الى أعلى ،
وأخذ يقيس طول السمكة بجبل .
ولم يمض الغلام حتى ذلك المكان . لقد قصد الى هناك
من قبل ، وكان قد عهد الى احد الصيادين في حراسة
القارب .

وصاح احد الصيادين :

« كيف حاله ؟ »

فأجابه الغلام صائحاً :

« إنه نائم . » ولم يبالي الغلام أن يلاحظ الصيادون

دموعه . « ارجو ان لا يزعجه احد . »

وصاح الصياد الذي كان يقيس طول السمكة :

« كان طولها ثمانية عشر قدماً من الأنف حتى الذنب . »

فقال الغلام :

« انا لا استغرب ذلك . »

ومضى الى « السطيحة » وطلب ملء صفيحة من القهوة .

« لتكن ساخنة وافرة الحليب والسكر . »

« هل تريد شيئاً آخر ؟ »

« لا . سوف أرى بعد ذلك ما الذي يستطيع

ان يأكله . »

وقال صاحب « السطيحة » :

« لقد كانت سمكة عظيمة حقاً ! إن احداً لم يرَ

مثلاً من قبل . وأنت أيضاً ، اصطدتَ أمس سمكتين

رائعتين . »

فقال الغلام :

« لست أبالي بذلك ! » وأنشأ ينتحب من جديد .

وسأله صاحب المقهى :

« ألا تريد أن تشرب شيئاً ؟ »

فقال الغلام :

« لا . قل لهم أن لا يزعجوا ساتيـاغو . سوف

ارجع بعد قليل . »

« إحمل اليه شديد تأثري لما أصابه . »

فقال الغلام :

« شكراً . »

ومضى الغلام بصفيحة القهوة الساخنة الى كوخ الشيخ

وقعد الى جانبه حتى أفاق . وبدأ الشيخ مرةً وكانه

استيقظ ، ولكنه ما لبث أن غرق في نوم عميق . وهنا

اجتاز الغلام الطريق لكي يستعير بعض الحطب يسخن به
القهوة .

واخيراً أفاق الرجل العجوز . فقال الغلام :
« إبقى حيث انت . إشرب هذا . » وصب شيئاً
من القهوة في قدح .
وتناول الشيخ القدح وشرب ما فيه .
وقال :

« لقد هزموني يا مانولين . لقد هزموني حقاً . »
- « ليست هي التي هزمتك ، على كل حال . ليست
السمكة . »

- « لا . هذا صحيح . لقد هُزمت في ما بعد . »
- « بيدريكو بحرس القارب والعدّة . ما الذي تريد
ان تفعله بالرأس ؟ »
- « دع بيدريكو يقطعه إرباً إرباً ويستعمله في
أشراك الصيد . »
- « والرمح ؟ »

- « إحتفظ به اذا شئت . »
- « يسعدني ذلك . والان ، ينبغي أن نتفاهم على
سائر الاشياء . »

- « هل بحثوا عني ؟ »
- « طبعاً . بواسطة حرس السواحل وبالطيارات . »
فقال الشيخ :

« المحيط كبير جداً ، والقارب صغير لا يُرى في
سهولة . »

ولاحظ المتعة البالغة التي تتمّ للمرء حين يجد امامه
شخصاً يحدّثه ، بدلاً من ان يخاطب نفسه أو يخاطب
البحر ليس غير . واذف : « لقد افتقدتك في هذه
المعركة . ما الذي اصطدته ؟ »

- « واحدة في اليوم الاول . وواحدة في اليوم
الثاني . واثنين في اليوم الثالث . »
- « حسن جداً . »

- « سوف نعاود الصيد معاً ، منذ اليوم . »
- « انا لست محظوظاً . انا لم أعد محظوظاً على
الاطلاق . »

- « قاتل الله الحظ ! سوف أجلب الحظ معي . »
- « وما الذي ستقوله أمرتك ؟ »
- « انا لا ابالي . لقد اصطدت امس سمكتين ولكننا
سوف نصطاد معاً بعد اليوم ، فلا تزال ثمة أشياء كثيرة
ينبغي ان اتعلمها . »

- « يجب ان نضع ربحاً ثاقباً ونصطحبه دائماً في
الزورق . في استطاعتك ان تصنع النصل من طرف
نابض (راسور) من نوابض « فورد » عتيقة . وفي
ميسورنا ان نشحذه في غوانابا كوا . وينبغي ان يكون
حاداً وغير ممزوج بعناصر غريبة لكي لا ينكسر . لقد

انكسرت مديتي . »

— « سوف آتي بمديّة اخرى ، وأشحن نابض السيارة .
كم يوماً ستستمر هذه الرياح العاصفة في ما تظن ؟ »
— « ربما ثلاثة أيام . وربما أكثر . »

فقال الغلام :

« إذن فسوف أجد مجالاً واسعاً لأعداد كل شيء . بينما
تتصرف انت الى العناية بيديك . »

— « اوه ، انا اعرف جيداً كيف اعالجها . في الليلة
البارحة نفثت شيئاً غريباً ، وشعرت بشيء يطق في
صدري . »

فقال الغلام :

« لا تنس ان تعني بهذا ايضاً . إستلق في فراشك ،
ايها الرجل العجوز ، وسوف احمل اليك قميصك النظيف .
وشيناً تأكله . »

وقال الشيخ :

« إحمل اليّ ايّاً من الصحف التي صدرت خلال غيبيتي
في البحر . »

— « يجب ان تستعيد نشاطك في سرعة لأن هناك اشياء
كثيرة يجب ان اتعلمها ، وفي استطاعتك ان تعلمني كل
شيء . لقد تعذبت كثيراً ، اليس كذلك ؟ »

فقال الشيخ :

« أجل . كثيراً . »

فقال الغلام :

« سوف آتيك بالطعام والصحف . إسترح جيداً ايها
الرجل العجوز . سوف أقصد الى الصيدلية وأشتري لك
مرهماً تداوي به يديك . »

- « لا تنسَ ان تخبر بيدريكو ان رأس السمكة
له . »

- « لا . لن أنسى . »

وحين غادر الغلام الكوخ وهبط الطريق الرديئة المعبدة
بالصخور المرجانية كانت العبرات تتحدّر على خديه كرة
أخرى .

وذلك الأصيل وفدت على « السطيحة » طائفة من
السياح . وفيما كانت إحدى السيدات تتأمل الشاطئ الحافل
بصقائح الجعة الفارغة والأسماك الميتة ، رأت عموداً فقرياً
ضخماً طويلاً أبيض ينتهي بذنب هائل يرتفع ويتأيل مع
المدّ ، بينما كانت الريح الشرقية تثير البحر عند مدخل
المرفأ .

والتفتت السيدة الى احد النُدُل وسألته مشيرةً الى
عمود السمكة الفقري العظيم الذي انتهى الى أن يصبح
الآن مجرد نقابة تنتظر ان يحملها المدّ الى عرض البحر :
« ما هذا ؟ »

فقال النادل ، وهو يحاول ان يشرح بلغته الكوبانية
ما حدث :

« تيبورون Tiburon . قرش . »
وحسبتهُ يعني ان العمود الفقري الطويل كان لأحد
الاقراش فقالت :
« ما كنت اعرف ان للأقراش مثل هذه الاذناب
الجميلة الرائعة الشكل ! »
وقال زميلها الذي يرافقها :
« وانا كذلك ما كنت اعرف ! »
وهناك ، في الكوخ ، القائم في أعلى الطريق ، كان
الشيخ قد استسلم للرقاد ، كرةً اخرى ، مكباً بوجهه
على الصحف القديمة ، شأنه في المرة الاولى ، وقد قعد
الغلام قربه وانشأ يرنو اليه . كان الشيخ يحلم بالأسود .

اتتهى



www.lisanarb.com

كنوز القصص الإنسانية العالمية

سلسلة جديدة تعرف القارئ العربي إلى شواحي الآثار القصصية
العالمية ذات النزعة الإنسانية

لنبارخا وشنها إلى العربية

مير البعلبكي

صدر منها :	ق. ل.
١ - كوخ العم توم (الطبعة الثانية) لهرييت ستاو	٢٠٠
٢ - اسرة آرتامونوف (الاول) لمكسيم غوركي	٣٠٠
٣ - » » (الثاني) » »	٢٥٠
٤ - المواطن توم بين (الاول) لهاوارد فاست	١٥٠
٥ - » » (الثاني) » »	٢٠٠
٦ - ستة وعشرون رجلاً وفتاة واحدة لمكسيم غوركي	١٠٠
٧ - حكايات من ايطالية	١٠٠
٨ - شارع السردين المقلب لجون شتاينبيك	١٧٥
٩ - حياتي (قصة رجل من الريف) لانطوان تشيخوف	١٢٥
١٠ - طريق التبغ لارسكين كالدويل	٢٠٠
١١ - افول القمر لجون شتاينبيك	١٥٠
١٢ - ارض الماسي لارسكين كالدويل	٢٠٠
١٣ - أبناء العم توم لريتشارد رايت	١٥٠
١٤ - الشيخ والبحر لارنست همنغواي	١٢٥

عَلِمَ نَفْسَكَ

سلسلة كتب مبسطة لنشر الثقافة العامة
اختار موضوعاتها ونقلها إلى العربية

منير البعلبكي

صدر منها	ق . ل
١ . كيف تكسب السعادة	لبرتواند راسل ١٥٠
٢ . قادة الفكر الحديث (الطبعة الثانية)	للاستاذ كوتس ١٥٠
(كارل ماركس - برناردشو - ويلز)	
٣ . علم النفس الحديث	للاستاذ سارجنت ١٥٠
٤ . كيف تفكر	للدكتور جيسون ١٥٠
٥ . ألقاب المرض والشفاء	للدكتور كوبلاند ١٥٠
٦ . الحضارة الأوروبية في القرون الوسطى وعصر النهضة	للاستاذ شيفيل ١٥٠
٧ . أعمدة الاستعمار الأميركي (الطبعة الثانية)	للاستاذ فيكتور بيرلو ١٥٠
٨ . مصرع الديمقراطية في العالم الجديد	للاستاذ البرت كان ١٥٠
٩ . فلسفة من الصين	للفيلسوف لين بوتانغ ١٥٠
١٠ . قصص إنسانية عالمية	تشيخوف، تولستوي الخ ١٥٠
١١ . إدفع دولا زآقتل عربياً (الطبعة الثانية)	للاستاذ غريزو ولد ١٥٠

كنوز القصص الإنساني العالمي

لا تكون المكتبة كاملة وعصرية إذا لم
تحتو على « سلسلة كنوز القصص الإنساني
العالمي » ، التي صدر منها حتى الآن أربعة عشر
كتاباً كل منها قمة شائعة من قمم الأدب
العالمي الرفيع ، وأثر خالد ترجم إلى جميع
اللغات الحية وقرأه الملايين وزينوا به
مكتباتهم .

راجع أسماء هذه الكتب على الصفحة ١٤٢

عَنْ الْمَوْلُفِ وَالْكِتَابِ

• ليس بين قراء العربية من لم يسمع باسم همنغواي ورائته « الشيخ والبحر » التي توجتها الاكاديمية السويدية منذ اسابيع بجائزة نوبل لعام ١٩٥٤



• انه كبير كتاب اميركا المعاصرين . واحد عمالقة الفن الروائي في العالم كله . واشهر رواياته « ولا تزال الشمس تشرق » و « لمن تفرع الاجراس ؟ النخ » ...

• اما « الشيخ والبحر » فهي بأجسام النقاد اروع ما خطه براع همنغواي . انها على حد قول ناقد «الصدائي تايمس» اثر كامل من الوجبة الفنية ، اثر ليس في وسعك أن تحذف منه جثة او تضيف اليه جثة ويبقى للعمل الفني جلاله وروعته .

• تقرأ قصة « الشيخ والبحر » فيخيل اليك انك تسمع لحناً من الحان يتوهفن الخالدة . انها قصة صياد من كوبا ، صياد فقير ، يلتمس الرزق في عرض البحر ولكن الحظ يحونته طوال نحة وثمانين يوماً ، حتى اذا وقع على سمكة ضخمة كأنها الجبل راح يداورها ويحاورها في بطولة نادرة وانسانية بالغة مصارعاً البحر والوحدة ، والجوع والظلم ، والتعب والأنواء .

• إنها ملحمة النضال الانساني ضد عوامل الطبيعة القاسية ، وسيمفونية انتصار القلب الكبير على اليأس والقنوط .

• وترجمة « الشيخ والبحر » - هذا الاثر الذي يفيض كما قال ناقد « النوفيل لبتير » بساطة وشاعرية والذي هو مجموعة من النضج والصفاء - يطعم الادب العربي بلون رفيع من الوان الادب العالمي الحديث ، ويتسنى للمتقنين العرب أن يقرأوا ، لأول مرة ، نموذجاً كاملاً من ادب ارست همنغواي .

